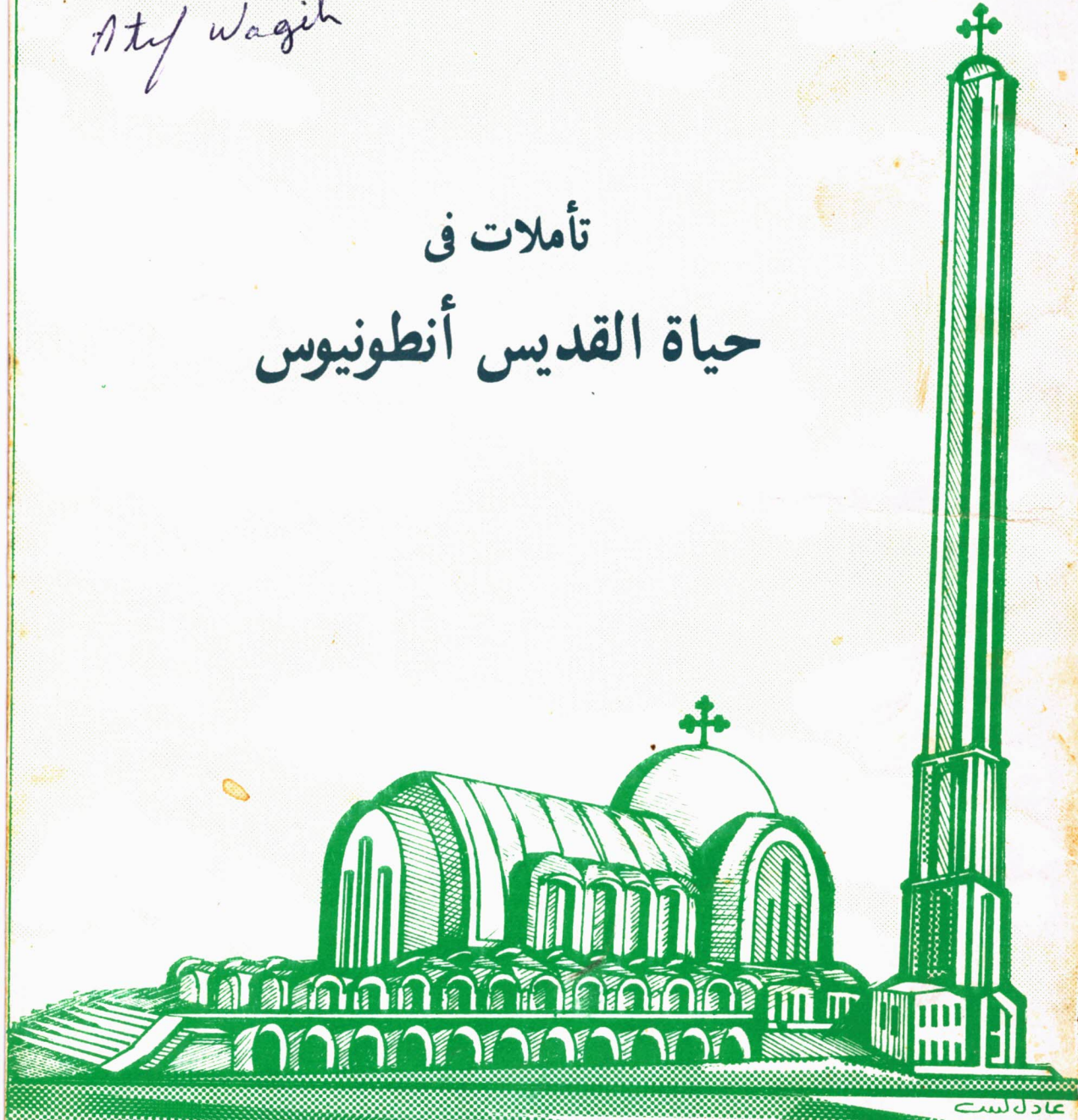


قداسة البابا شنوده الثالث

عاشق ومحب  
Atuf Wagih

تأملات في  
حياة القديس أنطونيوس



عاد لست

قداسة البابا شنوده الثالث

تأملات في

# حياة القديس أنطونيوس

Contemplations On The Life  
Of  
SAINT ANTONY THE GREAT  
By  
H.H. POPE SHENOUDA III

First Print  
August 1980

الطبعة الأولى  
أغسطس ١٩٨٠

سالكاً نهج الحياة القديسة

تأليف

سويينولها أن سيليكاا ةليه

Contemplations Of The Life  
OF  
SAINT ANTONY THE GREAT  
By  
H. H. POPE SHENOUDA III

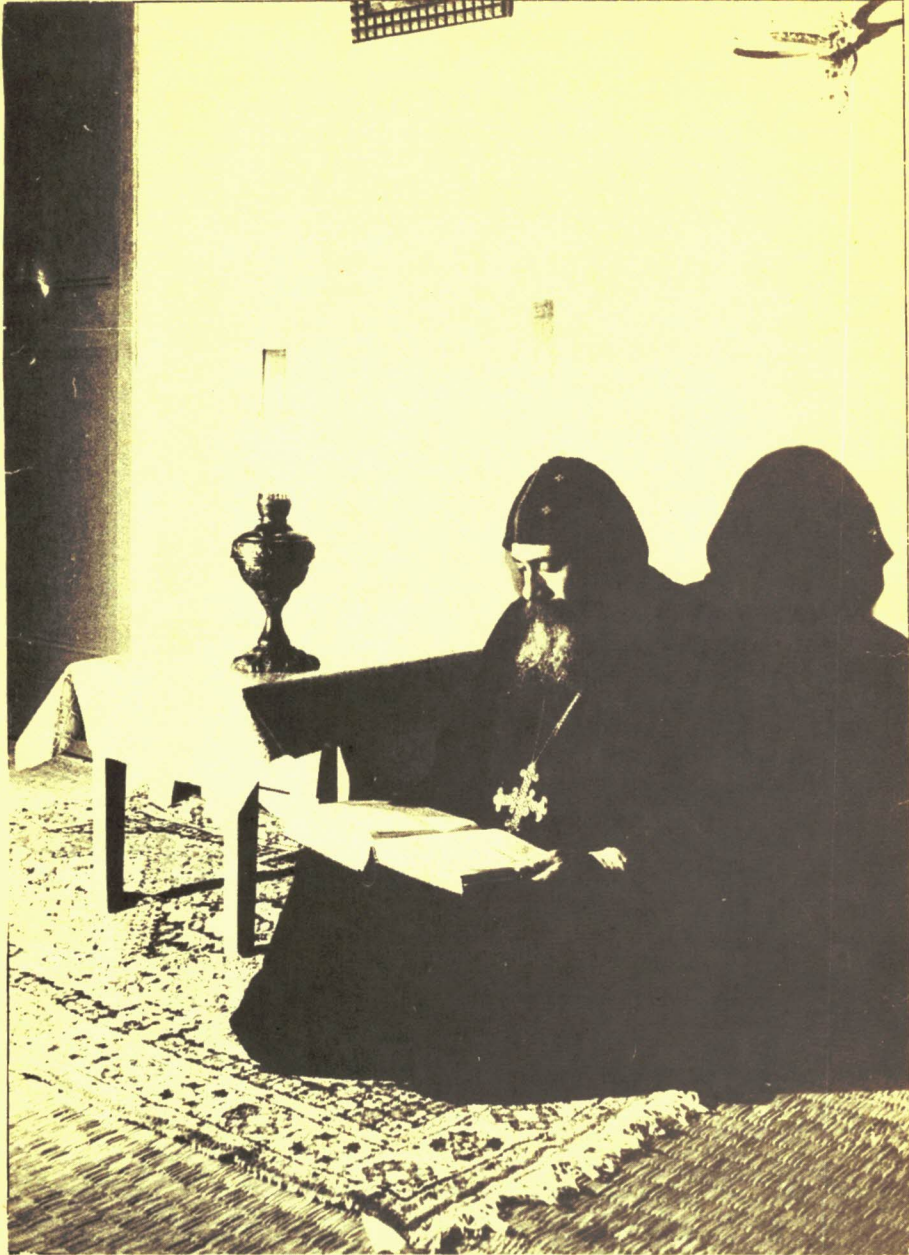
طبعة  
1980

Printed  
1980



القديس العظيم الأنبا أنطونيوس





قداسة البابا شنوده الثالث  
في قلايته بدير السريان - نوفمبر ١٩٧١



١٩٥٢  
١٩٥٢

## مقدمة

كانت كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا هي الفرع الرئيسي ، الذى أقوم فيه  
بخدمة التربية الكنسية قبل سيامتى راهباً . .

فلما شاء الله أن أنزل للخدمة، كان من الطبيعي أن ادعى من هذه الكنيسة،  
لألقى كلمة عن القديس الأنبا أنطونيوس ، في الأسبوع الروحي الذى تقيمه هذه  
الكنيسة كل عام بمناسبة عيد الأنبا أنطونيوس ، في ٢٢ طوبه ( آخر يناير ) .  
وهذا الكتاب ثمرة عدة محاضرات ، القيت في كنيسة القديس الأنبا  
أنطونيوس بشبرا . وكان يحيرنى في كل عام ، اختيار الموضوع الذى أقوله ،  
وقد غطى المتكلمون قبلى جميع النقاط ! واتذكر اننى قلت لشعب الكنيسة في  
أحد أعياد الأنبا أنطونيوس :

ان القديس الأنبا أنطونيوس ، له فضائل عديدة . ولعلمكم قد سمعتم  
الكثير عنه في حفلاتنا التى تقام في الكنيسة كل عام . . . وفي طريقي في هذه  
الليلة الى هنا ، كان يجلس معى في العربة الأب الموقر القمص ابراهيم عطية .  
فقلت له :

لست أدري عن أى شيء أحدث الناس في هذه الليلة ، فقد سمعوا كثيراً عن  
الأنبا أنطونيوس ، وليس من جديد !؟

كل هام يسمعون كل شيء عن الأنبا أنطونيوس ، أو يخيل لنا أن كل شيء  
قد قيل .

فما هو الجديد الذى يمكن أن يقال لهم عن الأنبا أنطونيوس ؟ لست أعلم .  
فأجابنى . . ان المياه يشربها الناس كلهم ، ولا يسأمونها أبداً .  
فقلت . ولكن المياه لا يشربها العقل . ان المعدة لا تسام الشيء المتكرر ،  
أما العقل فيسأه . لو كان العقل يشرب الماء باستمرار ، لتبرم منه . . .  
حقاً ، ماذا يمكن أن نقول عن الأنبا أنطونيوس ؟

ولعلمنى أكون قد اخترت بعض النقاط لم يتعرض لها المتكلمون .  
هذه أقدمها لك أيها القارئ المحبوب ، في هذا الكتاب .

شكوه الثالث



## في كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا :

يسرنى أن أحضر معكم هذه الليلة ، لاحتفل بعيد ابينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس .

في الحقيقة اننى عندما أدخل الى هذه الكنيسة ، ينتابنى شعور مخالف لشعورى في أية كنيسة أخرى .

ربما أذهب الى كنيسة أخرى ، ككاهن ، أو كراع ، أو كأسقف ... ولكننى عندما أتى الى هذه الكنيسة ، أتذكر باستمرار أننى ابن وتلميذ ... فقد تتلمذت في هذا المكان المبارك، وفي هذه الكنيسة المقدسة ، وكل شبر فيها له في قلبى ذكريات مقدسة .

واحببنا جميعاً اسم القديس الأنبا أنطونيوس :

حتى أن كل فصول مداس الأحد التى كنت أقوم بالتدريس فيها في كنائس أخرى ، كانت تحمل اسم الأنبا أنطونيوس أيضاً .. وعندما دخلت في الحياة الرهبانية ، اخترت اسم الراهب أنطونيوس ليكون اسماً في الرهبة .

وعندما وضعنى الله في هذه المسئولية ، ظللت محتفظاً بمحبتى لهذا الاسم المبارك . فأول كاهن قمت برسامته ، كان على اسم أنطونيوس أيضاً ، وهو من أبناء وأساتذة هذه الكنيسة . انه القمص أنطونيوس راغب حالياً .

وتخرج من هذه الكنيسة كثيرون رسموا باسم أنطونيوس :

منهم القمص أنطونيوس يونان بالمنصورة ، والقمص أنطونيوس باقى نيح الله نفسه . والقس أنطونيوس فرج ( في لندن ) . كما قمت بسيامة القس أنطونيوس حنين ( في لوس انجلوس ) ، والقمص أنطونيوس ثابت بالاسكندرية .

وقد اشترينا أربعين فدانا في ضواحي لوس انجلوس بأمريكا ، أقيم عليها دير باسم القديس أنطونيوس . وأول كنيسة أسسناها في أمريكا في أيامى ، كانت على اسم العذراء والقديس أنطونيوس في منطقة كوينز .

أيضاً أول أسقف سيم لنا في أفريقيا ، كان باسم الأنبا أنطونيوس مرقس . وأول كنيسة ودير أسسناهما في نيروبي بكينيا ، باسم مارمرقس والأنبا أنطونيوس . كما أسسنا كنيسة في استراليا باسم الأنبا أنطونيوس ، وأخرى في ألمانيا بنفس الاسم . وكنيسة في مصر الجديدة باسم القديس جوارجيوس والأنبا أنطونيوس . وقمنا بسيامة كاهن فرنسى باسم القس أنطونيوس ، وعدداً آخر من الآباء الكهنة ...

وأصبح اسم القديس الأنبا أنطونيوس يمثل في قلوبنا فكرة ومبدأ وروحانية خاصة ، تهتز له قلوبنا أينما ذهبنا .

كما أصبح لنا مركز قبطى في فرانكفورت بألمانيا ، ودير باسم الأنبا أنطونيوس أيضاً .

## مجتنا للقديسين واکرامنا لهم

اليوم في عيد الأنبا أنطونيوس ، أتأمل معكم اکرام كنيستنا للقديسين •  
في الواقع أن كل أبناء الكنيسة القبطية يحبون القديسين محبة كبيرة ، ربما  
لا توجد في أية كنيسة أخرى •

انظروا الى أعياد القديسة العذراء مثلا ، وأعياد مارجرجس ، وأعياد  
الملك ميخائيل ، والأنبا أنطونيوس ، والقديسة دميانة ، والأنبا رويس والأنبا  
بيشوى ، والأنبا موسى الأسود ، ومكسيموس ودوماديوس ••• كم ترون من  
زحام الناس ومحبتهم وتشفعهم بالقديسين !••

كم من قديسين تركوا العالم ، ولكن العالم لم يتركهم ولا نسيهم •  
هم أمامنا في كل حين ، نقابل حياتهم بوفاء عميق • وفاء نحو آباء عاشوا  
في غير زمننا • ولكنهم ما زالوا في قلوبنا وفي أفكارنا • انها مشاعر وفاء ،  
ومشاعر حب نحو الآباء •

وحب الآباء الروحانيين فضيلة راسخة في أبناء كنيستنا سواء الآباء الأحياء ،  
أو الذين انتقلوا منهم ••• نقابلهم جميعاً بكل توقير لأبوتهم ، ولحياتهم ،  
وذكراهم •

ولا يفهم الآباء خطأ ، ما قد فهمه البعض من عبارة « لا تدعوا لكم أباً  
على الأرض » • فهذه العبارة قالها السيد المسيح للرسول الاثنى عشر فقط ،  
لا لعامة الناس ، على اعتبار أن الرسل وخلفاءهم ليس لهم آباء على الأرض •  
أما بقية الناس فلهم آباء •

يوحنا الرسول يقول « يا أولادى ، اكتب لكم هذا لكي لا تخطئوا »  
( ١ يو ٢ : ١ ) • وبولس الرسول يصف تيموثاوس بأنه « الابن الحبيب »  
( ٢ تي ١ : ٢ ) • وتيطس « الابن الصريح حسب الايمان » ( ١ تي ٤ : ٤ ) •  
ويقول لفليمون « أطلب اليك لأجل ابني أنسيموس الذى ولدته في قيودى »  
( فل ١٠ ) • ويقول لأهل غلاطية « يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضاً »  
( غل ٤ : ١٩ ) • ويقول لأهل كورنثوس « أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالانجيل »  
( ١ كو ٤ : ١٤-١٧ ) • وبطرس الرسول يقول « مرقس ابني » ( ١ بط ٥ : ١٣ )

الأبوة الروحية موجودة اذن في الكنيسة ونحن نحب آباءنا •

وهناك رابطة كبيرة بيننا ، وبين الذين في الفردوس •

رابطة بين أهل العالم الحاضر والآخر • وهذه الرابطة مستمرة • اكرام  
القديسين دليل على وجودها • فالله ليس اله أموات • وانما اله أحياء •

ونحن نشعر أن هؤلاء القديسين ما زالوا أحياء ، وأنهم يعيشون بيننا ،  
ونتحدث اليهم تماماً كما نتحدث الى الأحياء •

يقف انسان أمام أيقونة العذراء أو مارجرجس أو الأنبا أنطونيوس ،  
ويطلب ، ويتكلم في دالة ، ويمتاب أيضاً •

نحن لا نشعر اطلاقاً أن القديسين قد فارقوا عالمنا ، أو انتقلوا منه أو  
انتهوا! ••• كلا ، بل نشعر بوجودهم باستمرار • ونذكرهم ليس في أعيادهم  
فقط ، بل في كثير من صلواتنا •

القديس الأنبا أنطونيوس مثلاً ، لا نذكره فقط في عيده ، انما يذكر  
في مجمع الآباء في كل قداسات الكنيسة • وليس فقط في القداسات ، انما أيضاً  
في تسبحة نصف الليل كل يوم في الأبصلمودية ، نذكره مع آباءنا جميعاً •••

نحن لا ننسى آباءنا أبداً ، مهما نسى الغير آباءهم وأجدادهم • انها  
كنيسة تتسم بالوفاء وحب الآباء •

وفي ذكرنا للقديسين واکرامنا لهم ، انما نعلن ايماننا بالأبدية ، وبأن  
الحياة لا تنتهي بالموت ، انما لها امتداد بعد الموت ••

لولا شعور كل واحد منا ، بأن الأنبا أنطونيوس لا يزال حياً ، يشفع فينا  
ويشعر بنا ، ما كنا نحتفل به الآن ، ونردد له الألمان! •••! انحتفل بحفنة  
تراب؟ كلا ، بل بحياة • اننا نحتفل بكائن حي ، نشق بأن حياته مستمرة ، في  
الأبدية • وهذا يعطينا أيضاً ثقة ، بأن حياة ستبقى مثل آباءنا •••

وفي اكرامنا للقديسين ، انما أيضاً نكرم الفضيلة ، التي عاشوها •

الذين يكرمون رجال العلم ، انما يكرمون العلم أيضاً ••• والذين يكرمون  
الأبطال ، انما يكرمون البطولة فيهم • والذين يكرمون الاذكياء ، انما يكرمون  
الذكاء ضمناً • كذلك الذين يحبون القديسين ويكرمونهم ، انما يحبون القداسة  
فيهم ويكرمونها •••

نحن نحب القديسين ، لأن في حياتهم صفات نحبها • والكنيسة في اكرامها  
للقديسين ، انما تكرم صفات القداسة في أشخاصهم •

حينما نقرأ كتاباً روحياً ، نطلع على مبادئ وافكار روحية •

• اما في حياة القديسين ، فنرى المبادئ الروحية ممثلة عمليا .  
ونثق أن الفضائل ليست أموراً نظرية ، بل هي واقع ملموس ، فنطمئن  
ونثق أن طريق الكمال ممكن التنفيذ . . .

### • وحياة قديس كالأنبا أنطونيوس تعلمنا أشياء كثيرة •

تعطينا فكرة كيف أن الانسان يمكنه أن يكتفى بالله ، ومعه لا يحتاج الى  
آخر ، ولا يعوزه شيء . بحيث يستطيع أن يترك الكل من أجل الرب ، الذي  
يصير له الكل في الكل .

وتعلمنا سيرته أيضاً ، كيف يمكن أن الانسان يجلس وحده ، فلا يمل  
ولا يسأم ولا يضجر ، لأن قلبه مع الله في كل حين ، شبعان بالرب . . .

تعطينا حياته مثالا عملياً عن الصداقة مع الله ، والعشرة مع الله ، التي  
تملأ القلب وتملأ الفكر ، وتملأ الحياة ، فيقول مع المزمور « معك لا أريد شيئاً  
على الأرض » . انها حياة « الانحلال من الكل ، للارتباط بالواحد » أى ينحل  
من كل أحد ، ومن كل شيء ، لكي يرتبط بواحد هو الله . . .

### • وما أكثر الفضائل التي نراها عملياً في حياة هذا القديس •

في المعرفة ، في الافراز ، في التواضع ، في الهدوء والسكون ، في الوحدة  
في محبة الله ، اترى انسان يحوى كل هذا في حياته ؟! لأجل هذا قلت لكم ان  
القديسين عينات ممتازة من البشر . . .

• ومحبتنا وكرامنا للقديس الأنبا أنطونيوس ، تعنى أيضاً محبتنا لحياة  
الصلاة والتأمل والنسك ، التي اتصفت بها حياة الرهبة •

لولا اعجاب الناس بهذه الحياة النسكية والتأملية التي عاشها الأنبا أنطونيوس  
ما كانوا يبنون الكنائس والمذابح على اسمه ، وما كانوا يرسمون له الايقونات،  
ويقيمون له الأعياد •

### • وكرامنا للقديسين يعنى أيضاً اكرامنا لله نفسه . . .

لأنه قال : من يكرمكم يكرمنى • ومن يقبلكم يقبلنى . . . ولأننا نحب  
الله ، لذلك نحب أولاده الذين أحبوه . . .

### • والكنيسة في اكرامها للقديسين ، وزعت أعيادهم على مدار السنة •

في كل يوم من ايماننا ، تحتفل الكنيسة بعيد أحد القديسين ، أو بعض  
القديسين ، ولا يخلو يوم من تذكار قديس . . .

ونحن نحتفل بهؤلاء القديسين في أيام انتقالهم من هذا العالم ، في يوم  
الوفاء أو يوم الاستشهاد ، لأنه اليوم الذى أكمل فيه القديس جهاده على  
الأرض . . . وكما قال الرسول « انظروا الى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بايمانهم »  
( عب ١٣ : ٧ ) .

**هؤلاء القديسون الذين نحتفل بهم ، انما هم عينات ممتازة .**

ان كل من يحيى حياة الايمان ، يسميه الكتاب قديساً .

يكتب بولس الرسول الى « القديسين الذين في أفسس » ( اف ١ : ١ )  
والى « جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبى » ( في ١ : ١ ) ويختم  
رسالته اليهم بعبارة « يسلم عليكم جميع القديسين » ( في ٤ : ٢٢ ) . ويكتب  
ايضاً الى « القديسين الذين في كولوسى » ( كو ١ : ٢ ) . ويخاطب العبرانيين  
بقوله « من ثم أيها الاخوة القديسون ، شركاء الدعوة السماوية » ( عب ١ : ٣ ) .

لا شك ان كل مؤمن ، نزع الانسان العتيق ، وليس المسيح في المعمودية  
( غل ٣ : ٢٧ ) ، وسكن فيه الروح القدس ، وعاش في طاعة الرب ، وفي ممارسة  
أسراره المقدسة ، هو قديس .

**لكننا هنا لا نتكلم عن القداسة العادية ، انما نقصد العينات الممتازة ،  
التي ارتفعت روحياً فوق المستوى العادى كالأنبا أنطونيوس .**

هؤلاء جاهدوا كثيراً لكى يصلوا الى هذه القداسة . وكل جهاد لهم ، انما  
برهنوا فيه على محبتهم لله ، وعلى أنهم مستعدون لبذل كل جهد من أجل الثبات  
في الرب .

**وهذا لا يمنع من أن البعض ولدتهم أمهاتهم قديسين ، او كانوا في بطون  
أمهاتهم قديسين . . .**

مثال ذلك يوحنا المعمدان الذى قيل عنه « ومن بطن أمه يمتلئ من الروح  
القدس » ( لو ١ : ١٥ ) . والذى أحس بالمسيح في بطن مريم ، فارتكض يوحنا  
بابتهاج في بطن أمه فرحاً بالمسيح ( لو ١ : ٤٣ ) . . .

ومثال ذلك ايضاً أرميا النبي ، الذى قال له الرب « قبلما صورتك في  
البطن عرفتك . وقبلما خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبياً للشعوب »  
( أر ١ : ٥ ) . .

هذه عينات نادرة ، مستوى عال وهبة من الله .

اما الأنبا أنطونيوس ، فهو شاب ولد في أسرة عادية ، غنية ، ولكنه كافح ،  
وانتصر على عقبات كثيرة ، حتى وصل . . .

## القديس الأنبا أنطونيوس جاهد وانتصر

لم يمتلئ بالروح القدس وهو في بطن أمه ، كيوحنا المعمدان • ولكنه ولد كشاب عادى ، من أسرة غنية • وكان المنتظر لمثله أن يرث أباه في غناه وسلطته ، وأن يتزوج ، ويعيش سعيداً في ظل الغنى والعظمة ، ويكون ناجحاً في حياته وكل الامكانيات متوفرة •

ولكن الأنبا أنطونيوس ، جاهد لا لكي يستفيد من هذه الامكانيات ، وإنما لكي ينحل منها جميعاً • وكيف كان هذا ؟•

١ - أولاً ، نجح في اختبار « ما أعسر أن يدخل غنى الى ملكوت الله » ( مت ١٩ : ٢٣ ) • قال السيد المسيح هذا ، أما الأنبا أنطونيوس ، فأجابه : لا تحسبنى يا رب من هؤلاء الأغنياء • اننى حسب وصيتك سأبيع كل ما لى واعطيه للفقراء ، واتبعك فقيراً •

والشاب الغنى أنطونيوس دخل الملكوت ، وأدخل الآلاف معه •••

حقاً كان يملك المال ، ولكن المال لم يكن يملكه •••

كان هو السيد على ماله ، يصرفه كيفما شاء • ولم يسمح للمال أن يكون سيداً ، يقوده في مسالك أخرى •

ولأن المال لم يملك قلبه ، استطاع أن يتركه ويوزعه ، ويمضى الى الملكوت بدون ••• وحينما كان الشياطين ينثرون الذهب أمامه على الرمل ، ما كان يهتم به • كان كالحصى في نظره • وفقد المال قيمته في قلب الأنبا أنطونيوس ، لأن قلبه كان منشغلاً بما هو أئمن وأهم •

اذن المال في حد ذاته ليس هو الخطورة ، إنما الخطورة تكمن في محبة المال ، والتعلق به والسعى وراءه ، والاتكال عليه ، والافتخار به •

٢ - وكما انتصر الأنبا أنطونيوس على محبة المال ، انتصر أيضاً على محبة الجاه والسلطة ، فلم يهتم بأن يكون له مركز أبيه •

٣ - بل انتصر على محبة العالم كله • ونفذ وصية « لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التي في العالم ، لأن العالم يبید وشهوته معه » •  
وصار الأنبا أنطونيوس قلباً نقياً خالصاً ، ليس فيه شيء من شهوة المادة والجسد والملاذ الدنيوية المتنوعة •

كان قلباً مات تماماً عن العالم وكل ما فيه •

٤ - وكما انتصر في كل هذه الميادين ، انتصر على محبته لأخته أيضاً ، ونجح في تدبير مسئوليته من جهتها ••  
كان يمكنه أن يقول : ماذا أفعل ؟ أنا أريد الرب ، ولكن ظروف العائلية لا تساعدني ، وأنا مسئول عنها ••

كان يحب أخته ، ولكن كان يحب الرب أكثر من أخته ، لذلك أمكنه أن ينتصر • وأودع أخته في أحد بيوت العذارى ، وشق طريقه نحو الله ، منتصراً على هذه العقبة •

٥ - وفي أول جهاده ، حاربه الشياطين بشكوك عديدة ، فانتصر عليها •  
شكوك من جهة صحة الطريق ذاته ، وامكان استخدام المال في أعمال الخير تحت ادارته وتصرفه ••• وهكذا يوقعونه في التردد، ويحولونه من حياة الصلاة والتأمل ، الى حياة الخدمة •••

شكوك أخرى من جهة أخته ومدى اطمئنانه عليها •

شكوك ثالثة من جهة نجاحه في هذا الطريق ، وقدرته على الاستمرار فيه ••• وشكوك عديدة أخرى لا حصر لها •

ولكن قلبه كان راسخاً ، لم يتزعزع اطلاقاً أمام الشكوك •

٦ - صادفت الأنبا أنطونيوس عقبة أخرى هي الارشاد، فانتصر عليها :  
عاش وحيداً ، بلا مرشد ، بلا أب اعتراف ، بلا كنيسة ، بلا معونة من أحد • ولكنه انتصر على هذا كله أيضاً •••

أخذ أولاً من النساك الذين على حافة القرية • ولما دخل الى الجبل ، بدأ يأخذ من الله مباشرة • وأعطانا درساً أنه حيثما لا توجد معونات بشرية ، فان المعونة الالهية لا تتخلى •

ومنح الله لهذا القديس افرازاً وفهماً روحياً وحكمة لم تكن للذين تمتعوا بارشاد من البشر •

٧ - ثم دخل الأنبا أنطونيوس في حرب أخرى وانتصر فيها، وهي حرب  
الرعب والخوف ، في البرية القفرة المنعزلة ...

لما وجد الشياطين أن المال والعظمة لا تهمة ، وأن الأفكار والشكوك  
لا تزعه ، وأن الشهوات لا تغلبه بدأوا معه حرباً عنيفة لاختفه . فكانوا  
يظهرون له في هيئة وحوش كثيرة ، لها أصوات مخيفة عالية ، تهجم عليه بقصد  
افتراسه . ولكن قلبه ما كان يخاف ...

بل انتصر على هذه المخاوف بوسائل ثلاث : الاتضاع ، والفهم ، والصلاة:

بالاتضاع كان يقول لهم : « أيها الأقوياء، ماذا تريدون مني أنا الضعيف  
أنا أضعف من أن أقاتل أصفركم » . وكان يصلي قائلاً : « انقذني يا رب من  
هؤلاء الذين يظنون أنني شيء ، وأنا تراب ورماد » . فلما كانوا يسمعون  
هذه الصلاة المملوءة اتضاعاً ، كانوا ينقشعون كالدخان .

ومن جهة الفهم ، كان يقول : انني أعجب لتجمهركم على بهذه الكثرة .  
ولو كنتم أقوياء حقاً . لكان واحد منكم يكفي . وهكذا بالايان أيقن من  
ضعف الشياطين ، وكان هذا الايمان يخزيهم فيمشون ...

وقد استعملوا معه طرق الايذاء والضرب ، وبخاصة حينما كان ساكناً  
في مقبرة ، ولكنه صمد ، وكان يصلى مزموماً « الرب نوري وخلصي ، ممن  
أخاف . الرب عاضد حياتي ، ممن ارتعب ! ان يحاربني جيش فلن يخاف  
قلبي . وان قام على قتال ، ففي هذا أنا مطمئن »

وكان في ايمان عميق يقول لمهاجميه « ان كان الله قد أعطاكم سلطاناً  
على ، فمن أنا حتى أقاوم الله ؟! وان كان الله لم يعطكم سلطاناً على ، فلن يستطيع  
واحد منكم أن يؤذيني .

وهكذا عاش الأنبا أنطونيوس في حياة الايمان ، لا يخاف .

وفي كل مرة ينتصر ، كان يزداد ايمانه ، وينتزع منه الخوف بالأكثر ،  
الى أن زال منه الخوف تماماً . وقال أيضاً « أنا لا أخاف الله ، لأنني أحبه » .

هذا هو رجل الجبال ، جبار البرية الذي لا يخاف ، حتى من الوحوش  
المفترسة ، وحتى من الشياطين .

وبخبرته الروحية ، استطاع فيما بعد أن يجمع تلاميذه ، ويلقى عليهم  
كلمة عميقة عن ضعف الشياطين وعدم الخوف منهم . وقد سجل لنا القديس  
أثناسيوس الرسول هذه الكلمة في كتابه عن حياة الأنبا أنطونيوس .



وفي انتصار الأنبا أنطونيوس وعدم خوفه ، ظل محتفظاً بتواضعه •

يشعر بضعفه ، يصرخ الى الله ، فينقذه الله بقوته الالهية •

قال الأنبا أنطونيوس : في احدى المرات ابصرت فخاخ الشيطان مبسوطه على الأرض كلها • فقلت « يا رب ، من يفلت منها ؟ » فأجابني الصوت قائلاً « المتواضعون يفلتون منها » •

٨ - ولعل من مظاهر التواضع العملي في حياة الأنبا أنطونيوس، وعدم التشبث بفكره ، انما يخضع لفكر الآخرين أحياناً •

ولا شك أن في هذا انتصار من الانسان على نفسه •••

وسنضرب لهذا الأمر في حياة قديسنا عدة أمثلة :

أ - انه اقتنع بحياة الوحدة ومارسها ، وعاش ٣٠ سنة مطلقاً على نفسه لا يرى وجه الانسان ••• وأخيراً ازدحم الناس على بابه ، مصرين أن يفتح لهم ، وأن يصير لهم مرشداً • وكان ممكناً لهذا القديس أن يهرب من هؤلاء ، حتى لو فتح لهم ، وأن يتمسك بحياة الوحدة الكاملة التي أرادها لنفسه • ولكنه خضع لهم • وتحول من متوحد بالمعنى الكامل الى متوحد ومعلم للوحدة • واضطر أيضاً أن يفتح بابه لكثير من الزائرين • وغير شيئاً من أسلوب حياته • لأجل الناس • وقبل الوضع الذي اراده له ، وتنازل عما اراده لنفسه •

ب - في اعتقاده أن الرهبنة موت عن العالم ، وبعد عن العالم ، وحياة وحدة في البرية • ولكن لما طلب اليه الآباء الأساقفة أن ينزل ليعلم رأيه في الأريوسية ، خضع لهم ، ونزل الى الاسكندرية ، وسط جماهير الشعب ، وقضى هناك ثلاثة أيام ، أكمل فيها الرسالة المطلوبة منه ، ثم عاد ملتمساً ديره ••• كان من النوع المطيع ( المهادن ) ، على الرغم من أنه في نزوله وقتذاك كان في حوالى المائة من عمره •••

ج - ونزل قبل ذلك أيام الاستشهاد ، وكان يذهب الى حيث محاكمة الشهداء وتمذيبهم ، ويشجعهم ويقويم •

في تواضعه ، انتصر على التطرف ، وعلى التحجر والجمود عند فكر معين • اعطاه التواضع مرونة وسهولة في التعامل •••

٩ - وانتصاره على التطرف ، جعله متعدلاً في حياته ، يسير بافراز وحكمة ، سواء مع الناس ، أو مع نفسه أيضاً •

أ - قال عنه القديس الأنبا أنطونيوس ، انه لما خرج من وحدته وحيسه لمقابلة الناس ، ما كان نحيفاً جداً بسبب النسك ، ولا كان بديناً مترهلاً بسبب

قلة الحركة في حبسه • انما كان معتدلا في قامته ، لأنه كان يسلك في وحدته  
باعتدال وعدم تطرف •

ب - وظل الافراز من أولى الفضائل التي يجبها ، حتى أنهم حينما سألوه  
عن أهم الفضائل ، قال لهم الافراز ، أى الفهم والتمييز والحكمة في التصرف ••  
وقال ان هناك من صاموا وصلوا وسكنوا البرية ، وهلكوا ، لأنهم تصرفوا بغير  
افراز •

اما هذا القديس فقد كان يسلك بفهم واطزان وحكمة وتمييز ، بعكس  
الرهبان الذين يتطرفون في أى قانون من قوانين الرهبة ، حتى يخرجهم تطرفهم  
ليس فقط عن مبادئ الحياة الرهبانية ، انما أيضاً عن مبادئ السلوك الروحي  
معموماً •••

ح - وفي انتصاره على التطرف ، انتصر على التزمتم أيضاً :

ولذلك كان بشوشاً باستمرار ، وجهه يفيض بالسلام على الآخرين ،  
فاشتهى تلاميذه مجرد النظر الى وجهه • وكان كل من ينظر الى وجهه يمتلئ  
بالسلام •

وهكذا انتصر القديس أنطونيوس على حرب الكآبة التي يقع فيها رهبان  
كثيرون ، ولا يوجدون أمامهم في الكتاب المقدس سوى عبارة « بكآبة الوجه  
يصلح القلب » ناسين الآيات التي تقول « افرحوا في الرب كل حين » « فرحين في  
الرجاء » ••• فحياتهم في الرهبة كلها عبوسة !••

اما الأنبا أنطونيوس ، فلم يكن هكذا • كان بشوشاً ولطيفاً • ومع ذلك  
فيه كل فضائل الرهبة • يحيا في وحدة وفي صمت • واذا التقى بالناس ،  
يلتقى بهم في سلام وحب ، يعطى فكرة عن المتدين السعيد بتدينه ، الذي تنظر  
الى وجهه فتتعلم الهدوء والسلام والبشاشة والطمأنينة واللفظ •

كان صاحب وجه مريح •••

## الفصل الثالث

### القديس أنطونيوس

#### كاب لفكرة وطريق

#### واب منهج روى جديد

St. Antony As A Pioneer

القديس الأنبا أنطونيوس له فضائل وميزات عديدة ، لعلكم سمعتموها من قبل . لذلك اتعير في كل سنة ، من أى شيء اخاطبكم . ولكن لعل من الأثمياء التى نذكرها في مقدمة ميزات هذا الانسان البار ، انه أحد الأوائل .

القصد انه واحد من الذين شقوا طريقا جديدا ، طريقا صعبا وجميلا ، لم يسبقه اليه أحد من قبل .

رهبان كثيرون ملأوا الدنيا ، آلاف وملايين . لكن أول راهب في العالم ، له مكانته ، لأنه أول من سار في الطريق ، وأول من وضع نظامه وأسلوب حياته ، وأول من شرحه للناس وعرفهم به .

تماما كما نقول مثلا ان كثيرين كتبوا عن لاهوت المسيح . لكننا نذكر القديس اثناسيوس الرسول كاول لاهوتى كبير ، الف ، ورد على الأريوسية في هذا المجال . . .

وكثيرون كرزوا باسم المسيح في أرض مصر . لكننا نذكر اسم القديس مار مرقس ، لأنه أول من كرز فيها ، ولم يسبقه في ذلك أحد من قبل . ان الأوائل الذين بدأوا الطريق ، لهم مكانتهم .

كلنا ، ان سرنا في طزيق الرهينة، انما نتبع آثار أقدام القديسين الأوائل، وكما ساروا نسير . أما القديس الأنبا أنطونيوس، فحينما شق طريقه في الرهينة لم تكن هناك أقدام سبقته في هذا المجال من قبل .

انه أب لطريق ، بل أب لأصعب طريق ، طريق الموت عن العالم ، طريق التجرد الكامل عن كل شيء .

وقد سار في هذا الطريق وحده ، لما بدأ . . .

عظمة الأنبا أنطونيوس ، انه لم يوجد أحد يقوده ويرشده في الرهينة ،  
بل هو الذى قاد وأرشد الكل •

كل من يترهب حالياً ، أبام ومرشدين ، يشرحون له كيف يبدأ ، وكيف  
يتدرج وينمو • ويحكون له أسرار الحياة الرهبانية وأعماقها وطقسها ، ويظهرون  
له حروب وحيل الشياطين ، وكيفية الانتصار عليها ••• ويمسكون بيد هذا  
المتدبء ، ويقودونه خطوة خطوة ، حتى يصل •••

أما الأنبا أنطونيوس فلم يجد له مرشداً ، وسار وحيداً •  
يقول الكتاب « اثنان خير من واحد لأنه ان وقع أحدهما ، يقيمه رفيقه •  
وويل لمن هو وحده ان وقع ، اذ ليس ثان ليقيمه » ( جا ٤ : ٩ ، ١٠ ) •  
وكان الأنبا أنطونيوس وحده ، لكنه لم يقع •••

سار وحده في طريق الرهينة ، بلا أب ، بلا مرشد ، بلا زملاء في الطريق ،  
بلا تعزية من أى انسان • بل أيضاً بدون الوسائط الروحية المتاحة للجميع ، بلا  
كنيسة ••• بلا شئ يسنده في الغربة والقفر والوحدة والحروب ••• سوى  
ايمانه بأن الله معه •

ومع ذلك لم يستصعب الطريق ، بل سار وحده ، ومع الله •

لهذا نحن نكرم الأنبا أنطونيوس ••• وكل الذين يترهبون الآن ، مهما  
ارتفعوا ، لا يمكن أن يصلوا الى درجة هذا القديس • فعلى الأقل الدفعة أتتهم  
من الخارج • هناك من تابعهم في حياتهم الروحية والنسكية ، حتى وصلوا •••

لكن الأنبا أنطونيوس ، أتته الدفعة الأولى من داخله •

ولما دخل الى الرهينة في أيامه ، دخل الى المجهول •••

سار في طريق لا يعرف معاله ، ولا يعرف حروبه •

حالياً توجد كتب للرهبنة • يوجد بستان الرهبان ، والمديد من الكتب  
النسكية ، كتبها كبار الآباء عن الحياة الرهبانية ، وتوجد أيضاً سير الآباء  
المتوحدين والسواح • والذى لا يجد مرشداً ، يمكنه أن يتعلم من الكتب •••

أما في وقت رهبنة الأنبا أنطونيوس ، فلم تكن هناك كتب •

ان سيرة هذا القديس ترد على الذين يبررون أنفسهم في سقطاتهم ، معتدريين  
بأنهم لم يجدوا أب اعتراف ، ولا مرشد روحى ، ولا قدوات سالمة أمامهم ، لذلك  
سقطوا ! هوذا الأنبا أنطونيوس لم يجد شيئاً من هذا كله ، ومع ذلك سار في  
طريق الكمال بلا عثرة • وكان الرب يرشده •

انه لم يكن ابا للرهبان فقط ، انما ابا للرهبنة ذاتها •  
هو الذى وضع أسسها وروحها ، وقدم للعالم صورته •  
وان أردنا أن نفهم ما هى الرهبنة في أصولها ، انما نرجع في ذلك الى  
الأنبا أنطونيوس ...

لذلك كانت حياته ذات تاثير عجيب ، اينما عرفت ••  
كانت سيرته مسكا ، لأنها كانت شيئاً جديداً على العالم ...••  
كانت حياته جديدة لم يعرفها العالم من قبل ••

لقد أعطى العالم صورة جديدة عن طقس في الحياة لم يكن مألوفاً من قبل •  
فكان الناس يأتون من اقاصى الأرض ، لكى يروا هذه الحياة الجديدة ، وهذا  
الانسان العجيب ، الذى يسكن الجبال والمغائر والبرية القفرة ، وتمر عليه  
ثلاثون سنة لا يرى فيها وجه انسان ، ومع ذلك فهو سعيد في وحدته وعزلته  
ونسكه ...••

كان اعجوبة في عصره • مجرد النظر اليه كان يفرح القلب ••

كما قال له أحد تلاميذه « يكفينى مجرد النظر الى وجهك يا أبى ، » •  
وكثيرون أحبوا الرهبنة لمجرد النظر الى وجهه ، واشتهوا أن يحيوا نفس حياته  
التي اعجبوا بها ...••

لقد كانت حياته ، في صمت ، عظة جذبت اليه الكثيرين •  
كانت حياة جديدة • ولم تكن هروباً من العالم ••

الأنبا أنطونيوس ، كان شاباً غنياً ، وكان العالم منفتحاً امامه • كان  
يملك ثلاثمائة فدان من أجود الأطيان في الصعيد، وكان أبوه ذا مركز وسلطان،  
ويستطيع أن يرث أباه في المركز والكرامة • ان الدنيا لم تضق في وجهه ليهرب  
منها • فلماذا اذن تركها ؟•

انه لم يهرب من العالم ، بل ارتفع فوق مستوى العالم وكان هذا هو سر  
عظمته ، وسر اعجاب الناس به ••

لقد ارتفع فوق مستوى الأطيان ، وفوق مستوى الفنى ، وفوق مستوى  
السلطة ، بل فوق مستوى العالم كله ، بكل شهواته • وشعر أن العالم كله  
ليست له قيمة ...••

وأعطى للناس درساً عملياً في تفاهة العالم ، كما أعطاهم درساً مقابلاً في  
اهتمام الانسان بأبديته ، قبل كل شيء •

وفيما كان الناس يتنافسون على ملاذ العالم وعظمته، وجدوا انساناً يرتفع فوق هذا المستوى كله ، وينظر الى شهواتهم كتفاهات ، ويحمل عصاه في يده ، ويضرب بقدمه في البرية، خارجاً من العالم بارادته ، واهباً كل أمواله للفقراء، لكي يعيا حياة الفقر الاختياري ٠٠٠ مع الله .

• وكان هذا شيئاً جديداً على الناس .

• وكان جديداً عليهم أيضاً أن يسكن في مقبرة ٠٠٠

ومهما ضربته الشياطين فيها ، وأخافته بكل طرق الرعب ، يظل باقياً متحدياً قوة الشياطين ، قائلاً لهم « ٠٠٠ وان كان الله لم يعطكم سلطاناً على ، فلن يستطيع أحد منكم أن يؤذيني » ٠٠٠

انسان يظهر له الشياطين بهيئة أسود وفهود ونمور ، وبأصوات مفرعة ، يحاربونه لكيما يخاف ويرجع . ولكنه يصمد .

انه فوق مستواهم ، وفوق مستوى مقدرتهم وسلطانهم ٠٠٠

لقد ارتفع فوق مستوى الخوف ، لا في المقبرة ، ولا في الوحدة . لم يخف الشياطين ، فخافت منه الشياطين ٠٠٠

• وكان هذا شيئاً جديداً على الناس ، أذهلهم واستهواهم .

من هذا الذي يعيش في أعماق الجبل وحده ، حيث الوحوش والحيات ودبيب الأرض ، وحيث العزلة المخيفة ، والوحدة المملة ، وحيث حروب الشياطين؟! ومع ذلك فهو لا يخاف ، ولا يمل ، بل يحيا سعيداً ، مفضلاً هذه الحياة على كل ملاذ العالم! ٠٠

رجل له قلب من حديد . دخل البرية ليس فقط بالنسك والزهد والصلاة،  
انما أيضاً بشجاعة عجيبة .

انه نوعية جديدة من الناس ، لم يرها البشر من قبل .

أغلق على نفسه في مغارة ثلاثين سنة ، لا يستقبل أحداً . وكان الناس يقرعون على بابه ، ويتركون له بعض الحبوب والبذور ، ويمضون لشأنهم ٠٠٠ وأخيراً لم يحتمل الناس البعد عنه . كان وراء هذا المجهول شيء يستهويهم .

• كان وراء بابه المغلق شيء يجذبهم ٠٠٠

فظلوا يقرعون بابه . ولما لم يفتح لهم ، كسروا الباب ودخلوا ، وقالوا له : نريد أن نعيش معك ، ونحيا الحياة التي تحياها ، بأية طريقة ، نبقى معك تحت ظل صلواتك .

استهوتهم هذه الحياة المرتفعة عن مستوى العالم •

واستهواهم هذا القلب ، الذى يحيا وحده ، مكتفياً بالله •••  
هذا القلب ، الذى لا يحتاج الى عزاء الناس ، لأن عزاء الله يكفيه •••  
والذى لا يحتاج الى أحاديث الناس ، لأن الحديث مع الله يشبعه • استهوتهم  
حياته كلها ، فبقوا معه •••

وهذه هى عظمة الأنبا أنطونيوس • لم يكن سرها ارتفاعه في فضائل معينة  
كان يطوى بعض الأيام صوماً كالقديس الأنبا بيشوى مثلاً ، أو يدخل في تدريب  
صلب العقول كالقديس مقاريوس الاسكندرى ، كلا بل كان لعظمته سبب آخر :  
سر عظمته ، أنه اكتشف طريقاً ، ما كان الناس يعرفونه قبلاً • وأحب  
الناس هذا الطريق ، وأحبوا الأنبا أنطونيوس معه •

كانت للأنبا أنطونيوس فضائل كثيرة • فكان مشهوراً باتضاعه ، وبصلاته ،  
ومعرفته وافرازه وزهده • ولكن ما أكثر من اتصفوا بهذه الصفات • أما الذى  
ينفرد به هذا القديس عن الجميع ، فهو قيادته لطريق الرهبة الروحية •

في فترة حديثة ، كان البعض يتشاجرون ويصيحون قائلين :

« لا بد أن يكون البطريرك من الرهبان !••• »

• أما في أيام الأنبا أنطونيوس ، فلم يكن البطاركة من الرهبان •

كانت الرهبة طقساً روحياً ، أعلى من عمل الرعاية ، حقا لم تكن أعظم  
من الكهنوت وراثته ، إنما كانت حياة أجمل ، هى الأقرب الى حياة الملائكة ••  
من من الآباء كان يقبل أن يترك جمال الرهبة ويصير بطريكاً ؟!

عاش الأنبا أنطونيوس ١٠٥ سنة ، وعاصر بطاركة عديدين • ولم يصر  
من الآباء البطاركة ، بل شماس من تلاميذه ، هو الأنبا أنثاسيوس صار بطريكاً •  
وبقى الأنبا أنطونيوس في حياته الروحية الحلوة ، بكل عمقها ، وكل ارتفاعها •

ساعة واحدة يقضيها مع الله ، يمكن أن تنفع الكنيسة أكثر من جهاد  
سنوات وشهور في عمل الرعاية ••

لما انتشرت البدعة الأريوسية ، وصار خطراً على الكنيسة ، وظل القديس  
أنثاسيوس يقاومها بالآيات والتفسير ، وبالجدال اللاهوتى والحوار المنطقى ،  
أرسل الآباء الأساقفة الى القديس الأنبا أنطونيوس ، لكى ينزل الى لاسكندرية •  
لا للجدال اللاهوتى ، فما كان رجل جدال ، إنما من أجل تأثير روح الله الذى  
فيه • فنزل القديس ، وكان عمره حوالى المائة عاماً ، وقضى في الاسكندرية ثلاثة  
أيام كان لها تأثير عجيب عميق في الناس •

يكفى أن يسمعوها من فمه الطاهر أن الابن مساو للآب في الجوهر . . .  
كلمة يقولها بلا جدال ، تسندها حياته المملوءة قدساً المحبوبة من جميع الناس ،  
تذكرنا بقول قائد المائة للرب « قل كلمة فقط ، فيبرأ غلامي » . وكان الناس  
ينتظرون من الأنبا أنطونيوس أن يقول كلمة فقط . فقال وأحدثت الكلمة  
تأثيرها .

### القديس الذى كان مرعباً للشياطين ، اما كان مرعباً للهراطقة !؟

وبعد ذلك تقول سيرة القديس، انه عاد الى ديره ، كغريب يلتمس وطنه .  
حقاً ، كان العالم غريباً عليه . . . غريباً على رجل الجبال والبرارى والوحدة .  
وأبى الرهينة الأصلية .

### وصدقونى ان كلمة ( رهينة ) ترجمة غير سليمة لحياة الوحدة .

ان كانت مأخوذة من عبارة : يهرب الله أى يخافه ، فالقديس الأنبا  
أنطونيوس نفسه قال لأولاده « أنا لا أخاف الله . ذلك لأنى أحبه ، والمحبة  
تطرح الخوف الى خارج » ( ١ يو ٤ : ١٨ ) . فماذا نسمى الرهينة التى قادها  
الأنبا أنطونيوس ؟

### الرهينة هى حياة الملائكة الأرضيين أو البشر السمايين .

الرهبان بشر يحيون حياة الملائكة ، وهم على الأرض . وقد كان القديس  
الأنبا أنطونيوس هو أول الملائكة الأرضيين .

لى يا اخوتى مقر فى دير الأنبا بيشوى ، أقضى فيه نصف أو ثلث كل  
أسبوع . وفى أعلى هذا المقر ، لى كنيسة خاصة أسميتها « كنيسة الملك ميخائيل  
والأنبا أنطونيوس » ، على اعتبار أن الملك ميخائيل هو رئيس الملائكة السمايين ،  
والأنبا أنطونيوس هو رئيس الملائكة الأرضيين .

غير أن الأنبا أنطونيوس يتميز على الملك ميخائيل بميزتين :

● الأولى أن الملك ميخائيل ، خلقه الله هكذا ، ملاكاً . .

أما الأنبا أنطونيوس . فقد ولدته أمه انساناً ، ولكنه تحول بسيرته  
الطاهرة الى ملك ، وأصبح فى مقدمة الملائكة الأرضيين .

● والميزة الثانية أن الأنبا أنطونيوس ولد على الأرض ، واستطاع أن  
يحول الأرض الى سماء ، والرهبان الى كواكب ، فسموه « كوكب البرية » وسموا  
تلاميذه كواكب البرية « . . .



لقد اكتشف الأنبا أنطونيوس أن الدنيا لا تساوى شيئاً • وهذا الاكتشاف عرفه قبله اثنان ، وبقياً يعملان في الدنيا •

أولهما سليمان الحكيم، الذى قال ان الكل باطل وقبض الريح ، ولا منفعة تحت الشمس ( جا ٢ : ١١ ) • ومع ذلك بقى سليمان حياته كلها يعيش وسط هذا الباطل •

والرجل الثانى هو القديس بولس الرسول ، الذى قال « خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية ، لكى أربح المسيح » ( في ٣ : ٨ ) • ومع انه صرف انها نفاية ، بقى في الدنيا من أجلنا ، يخدم ، لأنه أوتمن على وكالة • وهكذا عاش في الدنيا ، ولم يعش في نفايتها •

• سليمان بقى في العالم كملك ، وبولس بقى كرَسُول •  
• اما الأنبا أنطونيوس ، فلم يبق في العالم ، ولو للخدمة •

ارتفع فوق مستوى الخدمة الأرضية التى كانت لسليمان ، وفوق مستوى الخدمة الرعوية التى كانت لبولس • وعاش في الخدمة الملائكية التى كانت لطقس السارافيم •

• وقدم لنا هذه الحياة نموذجاً لطقس الملائكة الأرضيين •

كل راهب في الدنيا يعتبر نفسه ابناً للقديس الأنبا أنطونيوس ، ليس الأقباط فقط ، انما الكاثوليك أيضاً ، وكل الأرثوذكس شرقيين وغربيين ، وكل محبى الوحدة في العالم ••• الكل يشتركون معاً في محبته ، وفي اكرامه ، وفي البنوة له •

لقد قدم للعالم كله حياة التأمل والصلاة ، حياة الوحدة والسكون ، حياة الزهد والتفرغ الكامل لله •••

• قدم لنا حياة جديدة ، لا تستمد عظمتها من الخارج •

لا تستمد عظمتها من الألقاب ، ولا من الجاه والسلطان، ولا من الوظائف، ولا من الكهنوت ، ولا من الرعاية ، ولا من العلم والجدل والمعرفة • انما تستمد عظمتها من الداخل ، من الصلة الدائمة بالله ، في حياة الروح •

هذا هو المنهج الجديد الذى قدمه لنا الأنبا أنطونيوس • ونحن نكرمه كاب لهذا المنهج ، ونقول :

مبارك هو الرب الذي منحنا الأنبا أنطونيوس •

وفتح لنا به بابا للسمائيات ، وقدس اقداس وسط الجبال •••

وقدس لنا رمال البرية ، وتلاها ، ومغائرها • وصارت مغارة الأنبا  
أنطونيوس مزاراً يتبارك به الناس من كل أنحاء العالم ، ليروا مكاناً حل الله  
فيه ، مرافقاً للأنبا أنطونيوس ومباركاً له •

ونشكر الله لأن الأنبا أنطونيوس قبل أن يقود الرهبنة • ولم يصر أن يحيا  
وحده كالأنبا بولا ، في عزلة كاملة عن العالم ، يقضى حياته كلها لا يرى وجه  
انسان •••

مبارك هو اليوم ، الذي قبل فيه الأنبا أنطونيوس ، أن يرشد آخرين ،  
ويعلمهم هذا الطريق الملائكى الذى اختبره •



دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس

## الأنبا أنطونيوس كمعلم وكتالاب علم

الأنبا أنطونيوس المعلم ...

كثيرون ترهبوا • وكثيرون كانوا قديسين ، وسواحا ، ومتوحدين ، ولم ينالوا شهرة الأنبا أنطونيوس •

الأنبا بولا السائح مثلا ، ترهب قبل الأنبا أنطونيوس • وفي لقاء هذين القديسين ، كان الأنبا بولا يخاطب الأنبا أنطونيوس بعبارة يا ابني ، فإرد عليه بعبارة يا أبى • كان الأنبا بولا أكبر منه سناً ، وأقدم منه في هذه السيرة الملائكية • ولكنه لم ينل نفس الشهرة ، لأنه لم يكن مثل الأنبا أنطونيوس أباً لرهبان كثيرين • ولم يكن مثله أباً لمدرسة من المدارس ...

كان الأنبا أنطونيوس أباً لرهينة • كان أباً لمدرسة رهبانية ، لأول مدرسة رهبانية • وكان أباً لفكرة معينة انتشرت في كل مكان ...

انه لم يتزوج ، ولم ينجب ابناً • لكن له مئات الآلاف من الأبناء • له أبناء في كل بلد من بلاد العالم • كل رهبان العالم أولاد الأنبا أنطونيوس •

انظروا كم قرناً مرت على العالم منذ رهبنة الأنبا أنطونيوس ( ١٧ قرناً ) وكم راهباً ترهب في كل بلاد العالم ، طوال تلك القرون ... هؤلاء جميعاً هم أبناء الأنبا أنطونيوس •

عندما يدخل الأنبا أنطونيوس الى الملكوت ، ويقول لله « هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب » ١ ، يدخل وراءه من أولاده ألوف ألوف ، وربوات ربوات ... لأنه أب لمدرسة •

تتلمذ عليه تقريباً كل قادة الرهبنة في مصر :

فمثلاً كان من تلاميذه الأنبا آمون أبو جبل نتريا ، أبو منطقة القلاى • وقد رأى الأنبا أنطونيوس روح الأنبا آمون وهى صاعدة الى السماء ، تزفها الملائكة في فرح ...

وكان من تلاميذه أيضا ، القديس الأنبا مكاروريوس الكبير ، أتى وتلمذ عليه وأبسه الأنبا أنطونيوس اسكيم الرهينة • واشتغل معه ، وشهد له بقوله « ان قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين » •••

وتلمذ عليه الأنبا شيشوى ، أو الأنبا سيصوى من آباء الجبل الشرقى ، هو وتلاميذه • وتلمذ عليه القديس الأنبا بولس البسيط، والأنبا بيساريون ، والأنبا سرابيون •

وتلمذ عليه القديس الأنبا بينوده رئيس أديرة الفيوم • وقد كتب اليه القديس الأنبا أنطونيوس رسالته العشرين •

وتلمذ عليه القديس الأنبا ايلاريون الذى نشر الرهينة في سوريا وفي فلسطين •

وعندما كان يأتى الى الأنبا أنطونيوس أحد من تلك المناطق يطلب ارشاده، كان يقول لهم في اتضاع « لماذا تأتون الى ، وعندكم الأنبا ايلاريون ؟ •

وتلمذ عليه شيوخ عديدون انتشروا في الأرض كلها •••

ونشروا الرهينة في كل مكان ••• وأصبح الأنبا أنطونيوس أباً لفكرة ، ولمدرسة ، ولطريق حياة ، أباً لمنهج روحى له فروعه في كل مكان •••

وأطال الله عمر الأنبا أنطونيوس •••

ولد سنة ٢٥١ م ، وورق في الرب سنة ٣٥٦ م • وله من العمر ١٠٥ سنة شيخاً كبيراً في الأيام •••

العجيب أن الأنبا أنطونيوس ، لم يتلمذ عليه رهبان فقط •••

انما تتلمذ عليه أيضاً البابا البطريك •••

كان القديس الأنبا أنثاسيوس الرسولى البابا العشرون من تلاميذه • درس عليه الروحيات • تلقى عنه أيضاً كثيراً من أفكاره اللاهوتية •••

ان بعض العلماء ، حينما يدرسون فكرة أنثاسيوس اللاهوتية ، انما يرجعون كثيراً من أفكاره اللاهوتية الى القديس أنطونيوس الكبير •

حقاً ان هذا لعجيب •••

والقديس أنطونيوس تتلمذ عليه كثيرون لم يروا وجهه أبداً •••

لقد تتلمذوا على حياته ، على سيرته التى نشرها في الغرب القديس أنثاسيوس الرسولى في كتابه ( حياة أنطونيوس ) • وهذا الكتاب كان سبباً في انتشار الرهينة في روما وفي بلاد الغرب • فترهب كثيرون هناك وأتى العديد منهم الى مصر ، لمجرد أنهم تنسموا حياة القديس الأنبا أنطونيوس •

## وكان لهذا الكتاب تاثيراً في هداية أوغسطينوس ...

لقد تأثر أوغسطينوس تأثراً عميقاً بسيرة القديس أنطونيوس ، فتأثر ، وترك حياة الفجور ، بل صار راهباً وقديساً ... ومصدراً من مصادر الحياة التأملية في العالم ... بفضل سيرة الأنبا أنطونيوس .

والقديس الأنبا أناسيوس الرسولي ، كاتب هذه السيرة ، حينما كان يذهب الى أى مكان من بلاد أوروبا ، كانوا يسألونه عن أنطونيوس ، وعن أخبار الرهبنة في مصر ، وعن الرائحة الزكية التي تفوح من البرية ... وهكذا كان للأنبا أنطونيوس تأثير في أمكنة عديدة جداً لا توضع تحت حصر .

وكثيرون كانوا يأتون من بلاد الشرق والغرب ، لكي يتتلمذوا على القديس الأنبا أنطونيوس في التدبير الرهباني .

وكان بعض الفلاسفة يأتون اليه ، ويسألونه ، ويحاورونه ، ويندهشون كثيراً من علمه ومن ذكائه ...

لدرجة أنهم قالوا له في إحدى المرات « أنت لا تملك الكتب ، ولا تقرأ الكتب ، فمن أين لك هذه المعرفة وهذا الفهم العجيب ؟ » ...

فأجابهم بسؤال عجيب : أيهما أسبق : العقل أم المعرفة ؟ فلما قالوا له « العقل طبعاً أسبق » ، أجابهم « اذن المعرفة يمكن أن يلدها العقل ، بدون كتب ... » !

وكان يقول : أنا ان أردت معرفة شيء ، أصلى الى الله ، فيكشف لي . وأتأمل في آيات الكتاب ، فأفهم منها . فلا حاجة بي الى الكتب .

وكما أن الناس كانوا يأتون من مشارق الدنيا ومغاربها الى الأنبا أنطونيوس ، يطلبون منه كلمة منقمة ، يجعلونها دستوراً لحياتهم .

كذلك فإن الامبراطور قسطنطين الكبير أرسل اليه رسالة ، يطلب منه فيها بركاته وصلواته . ولما لم يقرأ القديس هذه الرسالة لتوه ، تعجب تلاميذه . فقال لهم : لا تتعجبوا من هذا ، بل تعجبوا بالأكثر أن الله يرسل لنا الرسائل كل يوم في كتابه المقدس ، ونحن لا نسرع الى قراءتها !

### محاربته للأريوسية :

كان الأنبا أنطونيوس في نظر الناس نبياً كبيراً للقداسة ، ومعلماً كبيراً للروحيات ...

وكانت كل كلمة تخرج من فمه هي كلمة ثقة وصدق :

لدرجة أنه عندما انتشرت الأريوسية في الاسكندرية ، نتيجة للشكوك العنيفة التي أثارها الأريوسيون ضد لاهوت المسيح ، طلب الآباء الأساقفة من

القديس أنطونيوس أن ينزل لكى يقول كلمة فيسند بها تعليم البابا أنثاسيوس  
الرسولى ٠٠

ونزل الأنبا أنطونيوس ، الى الاسكندرية ، وهو فوق المائة من عمره ،  
وقضى فيها ثلاثة أيام ، فيها ثبت الناس في الايمان ٠

ويقول المؤرخون ان الأيام الثلاثة التى قضاها الأنبا أنطونيوس فى الاسكندرية،  
كان لها مفعول السحر فى الناس ٠٠٠ وكانت أكثر دسماً من سنوات عديدة فى  
التعليم ٠٠٠

كانت كلمة التعليم تخرج من فم الأنبا أنطونيوس، تسندها قداسة سيرته،  
وتسندها المعجزات ، وتسندها ثقة الناس به ٠٠٠

انه رجل الله ٠ فكل ما يقوله هو كلام من الله ٠

ان الشخص العادى حينما يتكلم ، ربما يحتاج الى أدلة كثيرة ، واثباتات  
وبراهين كثيرة لكى يقنع الناس ٠ أما الانسان القديس ، الذى يشهد له الله  
بآيات ومعجزات ، الانسان القديس الذى هو موضع ثقة الناس بروحياته ،  
فيكفى ان يقول كلمة ٠٠٠

لا يلزمه ان يبرهن كثيراً ويثبت ، أو أن يتمب نفسه فى النقاش ٠٠٠  
يكفى أن يقول كلمة وينتهى الأمر ٠٠٠

هكذا كانت كل كلمة للأنبا أنطونيوس ٠٠ لها ثقل عجيب !

وكان الأنبا أنطونيوس يعلم، ليس فقط بالكلام ، وانما أيضاً بالرسائل ٠  
وله عشرون رسالة ، أرسلها الى أولاده ٠

ترجمت هذه الرسائل الى العربية ، وهى موجودة فى مخطوطاتنا فى الأديرة،  
آخرها رسالته الى تلميذه ببنوده ٠

وقد طبع البعض هذه الرسائل ونشرها ٠

وكانت موضع دراسة لعلماء كثيرين ٠

وللقديس أنطونيوس تعاليم كثيرة ضمنها بستان الرهبان :

خاصة بنصائحه الى أبنائه الرهبان ، فى النسك والروحيات ٠٠

وله سيرته وحياته المقدسة التى كان يتغذى بها الناس ٠

وتعاليمه كانت اما فى كلمات قليلة يرد بها ٠٠ أو فى عظات طويلة ،

كما فى رسالته ، وفى سيرته :

له فى كتاب سيرته التى وضعها القديس الأنبا أنثاسيوس ، عظة طويلة

قالها عن ضعف الشياطين ، وأنه ليست لهم القدرة الخيالية التي يخشاها الناس  
لذلك لا داعى أبداً لأن يخافهم الناس ويرتعبوا منهم . . . . . انها عظة طويلة . .  
وكلمات الأنبا أنطونيوس كان لها تأثيرها ، ليس في الأشخاص العاديين  
فقط انما أيضاً في شيوخ الرهينة وقادتها ومرشديها . كانوا جميعاً يعرفون أنه  
يتكلم بالروح القدس .

ولم تكن كلماته فقط نافعة للتعليم ، او سيرة حياته فقط نافعة للتعليم ،  
وانما حتى مجرد ملامح وجهه . . . . .

زاره مرة ثلاثة من الرهبان ، أخذ اثنان منهم يسألانه عن بعض أمور .  
اما الثالث فبقى صامتاً . فسأله الأنبا أنطونيوس ، لماذا لا يطلب شيئاً مثل  
زميليه ؟ فأجاب : يكفينى مجرد النظر الى وجهك يا أبى . . . . .

وقد قال القديس اثناسيوس عن الأنبا أنطونيوس « من من الناس كان  
مضطرب القلب أو مر النفس ، ويرى وجه الأنبا أنطونيوس ، الا ويمتلئ  
بالسلام . . . » .

لعله كان أيضاً من مصادر السلام بالنسبة الى الأنبا اثناسيوس نفسه في  
وسط ضيقاته الكثيرة .

وكان الأنبا أنطونيوس يحب الافراز ، اى الحكمة والتمييز والمعرفة :

ففى احدى المرات سأله اولاده عن الفضيلة العظمى في الرهينة . فقال  
لهم : انها الافراز . لأن كثيرين صاموا ، وأضروا أنفسهم بصومهم . وكثيرين  
صلوا وفشلوا في صلواتهم ، بسبب عدم الافراز . وله عظة عن الافراز في  
بستان الرهبان .

ذلك لأن الشخص الذى يقتنى الافراز والتمييز ، يستطيع أن يميز بين  
النافع والضار واللائق وغير اللائق . لذلك اهتم الأنبا أنطونيوس بفضيلة  
الافراز . وهو أيضاً كانت له هذه الفضيلة .

ولم يكن يفرح بالأراء بقدر ما كان يفرح بالعمل الروحى الفاضل ،  
وبخاصة الباطنى منه .

فى احدى المرات زاره بعض الرهبان ، وسألهم رأيهم فى تفسير آية معينة،  
فأبدى كل منهم وجهة نظره . وكان الأنبا يوسف معهم فبقى صامتاً . فسأله  
القديس الأنبا أنطونيوس عن رأيه فى تفسير الآية ، فأجاب : صدقنى يا أبى  
انى لا أعرف .

وهنا قال له الأنبا أنطونيوس : طوباك يا أنبا يوسف ، لأنك عرفت  
الطريق الى كلمة لا أعرف . . . . .

## الأنبا أنطونيوس كتلميذ يتعلم

### مصادر معرفته :

ما مصادر المعرفة عند الأنبا أنطونيوس ؟  
وممن استقى تعليمه ؟  
فلا يمكن لشخص أن يرتقى الى رتبة التعليم ، ما لم يتعلم أولاً ويتتلمذ ويفهم . فأين تتلمذ القديس الأنبا أنطونيوس ؟ وعلى يد من ؟

### كان الأنبا أنطونيوس يطلب المعرفة من كل مصدر :

وكانت هذه هي الصفة الأولى في تلمذته . . . .  
يطلب العلم من كل مصدره . لا يتعلم فقط من الأساتذة الكبار ، وإنما من كل شيء ، ومن كل أحد ، ومن كل حادث ، ومن كل شخص حتى لو كان خاطئاً . . .

### ● أول درس له ، تعلمه من انسان ميت :

وعجيب أن يتلقى أول درس له في الرهبنة ، لا من انسان حي ، إنما من شخص ميت . وكان هذا الميت هو أبوه . . .  
لما مات أبوه ، نظر الى جثمانه المسجى ، وتعلم من هذا الموت شيئاً . . .  
نظر الى أبيه الميت ، الذى كان يملك ثلاثمائة فدان من أجود أطيان قمن المروس ببني سويف ، وكان له غنى ونفوذ بين مواطنيه ، وقال له :

« أين هي قوتك وعظمتك وسلطانك ؟ أنت خرجت من العالم بغير ارادتك . ولكننى سأخرج منه بارادتى ، قبل أن يخرجونى كارهاً » .

وهكذا تلقى أول درس في الموت عن العالم .

تأمل في ذلك الرجل الغنى العظيم ، الذى كان يملأ الدنيا قوة وسلطة ، وهو الآن بلا حراك ، لا يملك حتى التصرف في بسده !

### ● أما الدرس الثانى ، فآخذه من الانجيل . . . .

والأنبا أنطونيوس كان يسمع كلام الله في عمق ، وكان جاداً في سماعه . وكل كلمة يسمعها ، كان يعتبر أنها موجهة اليه شخصياً . . . . ففى احدى المرات - وهو في الكنيسة - سمع قول الرب للشباب الغنى « ان أردت أن تكون كاملاً ، اذهب بع كل مالك واعطه للفقراء ، وتعال اتبعنى » .

وكان أول من سمع هذا الكلام الالهى شاباً غنياً مثله سمع ومضى حزينا مع أنه سمع هذه الآية من فم الرب يسوع المسيح نفسه ، من صوت السيد



المسيح المملوء تأثيراً وعمقاً وروحانية . ولكنه لم يتأثر ولم ينفذ ، لأن محبة المال كانت في قلبه .

أما الأنبا أنطونيوس ، فلما سمع هذه العبارة ، وكان هو أيضاً شاباً غنياً ، لم يمرض حزناً ، وإنما مضى وباع كل ماله فعلاً ، وأعطاه للفقراء . أخذ الأمر الإلهي بطريقة جدية ، لأنه كان يسير في حياته بهذا الأسلوب الجدى . . . .  
ولما بدأ يدبر الأمور ، ويفكر كيف يصرف هذا المال ، وكيف يدبر أيضاً مستقبل أخته ، مضى إلى الكنيسة فسمع قول الرب « لا تهتموا بما للغد » . فاعتبر هذا الكلام أيضاً موجهاً إليه هو بالذات ، وأسرع في الخروج من العالم .  
بينما في أيامه ، لم تكن هناك رهبنة بالمفهوم الحالي ، والنظام الحالي ، لأنه هو أول الرهبان .

كم من مرة نسمع نحن هذه الآيات تقرأ علينا في الكنيسة ، ولا نتأثر ونعمل مثلما تأثر بها الأنبا أنطونيوس وعمل ! . . . .

ولكنه كان انساناً يود أن يستفيد ، ويعتبر أن كلام الله للعمل ، وليس لمجرد السماع والمتعة الروحية به .

• كان جاداً في سماعه ، يحول كلام الله إلى حياة .

• كان يعمل بقول الرب « الكلام الذى أقوله لكم ، هو روح وحياة » . فكان يفهم الروح الذى في الكلام ، ويحوّله إلى حياة . . . .

• لقد تعلم درسه الأول في الرهبنة من موت أبيه .

• وتعلم درسه الثانى من آيات الانجيل التى سمعها .

فمن تعلم درسه الثالث اذن ؟

● تعلم درسه الثالث من القدوة الحسنة . . . .

كان هناك بعض النساك يعيشون على حافة القرى . ففى أول خروج الأنبا أنطونيوس تعلم من هؤلاء النساك . ولم يشاء أن يكون مقلداً لشخص معين منهم ، وإنما أخذ من كل واحد شيئاً : كان يتعلم من هذا الهدوء ، ومن ذاك الوداعة والاتضاع ، ومن ثالث الصمت ، ومن رابع المداومة على الصلاة ، ومن خامس النساك ، ومن سادس السهر . . . .

كان يبحث عن الشيء الفاضل في أى انسان يقابله ، ويتعلم منه ، دون أن يكون صورة طبق الأصل لشخص واحد بالذات .

(١) اش ٨ : ١٨

## ● أما الدرس الرابع ، الكبير ، فتعلمه من امرأة مستهتره ٠٠٠

كان متوحداً الى جوار النهر ، واذا بامرأة لا حياء لها ، قد جاءت الى حيث كان ساكناً يتعبد . وبدأت تخلع ملابسها ، لتنزل الى البحر لتستحم أمامه ، وهى لا تخجل ! أما هو فقد خجل ، وأنبها قائلاً « يا امرأة أما تستحين أن تتعمرى أمامى وأنا رجل راهب !؟ » فأجابته « لو كنت راهباً ، لدخلت الى الجبل فى البرية الجوانية ، لأن هذا المكان لا يصلح لسكنى الرهبان » ! قالت ذلك ، وهى تضحك منه باستهزاء ٠٠٠!

أما الأنبا أنطونيوس ، فأخذ كلمة الاستهزاء هذه ، بجديده . وقال : حقاً هذا صوت الله لى على فم هذه المرأة .

وقام فعلاً ، وترك ذلك المكان ، شاعراً أنه لا يناسبه فعلاً كراهب ، ودخل أعماق الجبل ، وكان دخوله بركة للعالم ٠٠٠ حتى كلمة الاستهزاء والتهكم التى سمعها ، أخذها بعمق وروحانية وتنفيذ . ولم يفضب بسببها ، انما انتفع روحياً ٠٠٠

ويبدو أن نساء شريرات كثيرات ، كن على غير قصد منهن ، سبب بركة وتعليم لكثير من القديسين :

وكما يقول الكتاب ان الله يخرج من الجاني حلاوة ١ .

+ وقد رأينا كيف أن الأنبا أنطونيوس انتفع روحياً من كلمة قالتها امرأة لا تستحي من أن تتعمرى أمامه .

+ والقديس مقاريوس الكبير ، كان سبب دخوله الى البرية أيضاً ، امرأة أخطأت مع شاب ، وحملت منه ، ولما انكشف أمرها اتهمت هذا القديس المتوحد ظلماً . فأتى أهلها وأهانوه أشد اهانة وكلفوه بالعناية بها ، ولما حان موعد ولادتها لابنها ، تعسرت ولادتها جداً ، وكادت تموت ، فاعترفت بخطيئتها وظلمها لهذا القديس ، فأتى الناس ليعتذروا اليه ، فهرب من المجد الباطل ، وترك تبده على حافة القرية ، ودخل الى البرية .

+ امرأة خاطئة أخرى ، قابلت القديس مار أفرام السريانى ، والظاهر انه كان جميل الصورة جداً ، فأخذت تتأمل جمال وجهه ، وثبتت عينيها على وجهه ، فنجعل ولامها على ذلك ، فقالت له .

« أنا امرأة ، فى الأصل مأخوذة من رجل ، فمن الطبيعى أن انظر اليك . أما أنت فرجل مأخوذ فى الأصل من تراب ، كان ينبغى أن تنظر الى التراب الذى أخذت منه » ٠٠٠

(١) قض ١٤ : ١٤

فانتفع القديس مار افرام ، وجعل وجهه في الأرض ، وتركها ومضى ،  
واستفاد من عدم حياتها ...

وطبعاً لا يجوز أن تفضل النساء هكذا ، معتمدات على منطق هذه المرأة !  
فانها امرأة خاطئة ، وليست مثالا .

عموماً ، ان الشخص الذى يريد أن يستفيد روحياً ، يمكنه أن يتخذ كل  
مصدر لفائدته ، حتى المرأة الخاطئة . وكما يقول الكتاب : « كل شيء طاهر  
للطاهرين » ١ .

ان ربنا يسوع المسيح علمنا أن نستفيد دروساً روحية ، من تأملنا لزنابق  
الحقل التى تلبس أعظم من سليمان في كل مجده ، ومن طيور السماء التى لا تزرع  
ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، وأبونا السماوى يقوتها .

ولقد أعطانا دروساً ، من الزارع والبذار ، ومن الحنطة والزوان ، ومن  
الشباك والصيد ، ومن الحميرة ، ومن الابن الضال

لأن من أراد أن ينتفع ، يمكنه أن ينتفع .

ومن له أذنان للسمع ، سيسمع ما يقوله الروح للكنائس .

وعلى رأى أحد الآباء الروحيين، الذى قال « تعلمت الصمت من البيغاء » .  
أى أننى لما رأيت تفاهة الثرثرة ، تعلمت الصمت .

لقد تعلم القديس الأنبا أنطونيوس دروسه الأربعة : من جسد انسان  
ميت ، ومن آيات الانجيل ، ومن القدوة الصالحة ، ومن صوت الله على فم امرأة  
خاطئة ..

فماذا كان المصدر الثابت لتعليمه ، ليس في الدرس الخامس فقط انما  
في دروس عديدة ؟

● لقد تعلم أيضاً من التأمل في الكتاب :

عيبنا في هذا الزمان أننا نقرأ كثيراً ، ولكن تأملنا قليل ، لذلك لا ندخل  
الى أعماق المكتوب ...

أما الأنبا أنطونيوس ، فلم تكن لديه كتب كثيرة مثلنا . كان راهباً  
بسيطاً ، من غير المعقول أن ينتقل في البرية من مكان الى آخر وهو مثقل بأحمال  
من المخطوطات !

كان يقرأ قليلاً في كتاب الله ، ولا يقف عند المعنى الخارجى للكلمة ، أو  
المفهوم السطحي ، انما يدخل في عمق الى روحانية الكلام . وحسبما قال

(١) تى ١ : ١٥

القديس بولس الرسول « خمس كلمات بفهم ، أفضل من عشرة آلاف كلمة بدون فهم » ١ •

بهذا كان القديس أنطونيوس يفهم معاني الكتاب أكثر من غيره • وبهذا شهد له الكثيرون •

● وكان القديس أنطونيوس يتعلم أحياناً من أولاده ••  
من أولاده الذين هو معلمهم • كما قال ، انه كان يأخذ أحياناً من تلميذه الأنبا بولس البسيط ، وكان هذا يسكن في مغارة تحت مغارة معلمه في الجبل • وكانت في حياته بساطة ونقاوة ، ويصلح سلوكه أن يكون نافعا ومفيداً لمن يرغب في المنفعة •

● وهناك أمور تعلمها القديس أنطونيوس من الله مباشرة ، عن طريق الكشف ، أو عن طريق الملائكة :

فلما حارب بالضجر في الوحدة ، أرسل له الله ملاكاً يريه كيف يصلى ويممل بيديه ، ويقا تل الضجر بعمل اليدين •

وأراه الملك الئى الرهبانى ، القلنسوة الملووة صلبانا ••  
ولما حارب بالمجد الباطل ، أرشده الله الى حيث يوجد القديس الأنبا بولا السائح ، ليأخذ درساً من حياته ويتضع •••

● وقد تعلم القديس أنطونيوس أيضاً من التجربة ومن حروب الشياطين :  
كان يتعلم من الحيل التى يستخدمها الشياطين معه ، ومن أفكارهم وحروبهم ومحاولاتهم لاسقاطه • وهكذا بالتجربة والممارسة تدر ب على أشياء كثيرة ، واتسعت معارفه •

ولهذا بعد أن قضى تلميذه الأنبا بولس البسيط فترة معه ، يتتلمذ عليه ، ويميش تحت ظل صلواته ، وكان يود أن يستمر هكذا ، أمره الأنبا أنطونيوس أن يسكن في مغارة وحده ، « لكى يجرب حروب الشياطين » ••• ويختبر ، ويتعلم ، ويتقوى •••

اذن كان الاختبار مصدراً من مصادر التعليم عند الأنبا أنطونيوس •

وفي الواقع كانت اختباراتة كثيرة وعلى مدى طويل :

لقد عاش في حياة الوحدة والنسك والصلاة أكثر من ثمانين عاماً ، وقد حفلت - وبخاصة في بدايتها - بالعديد من الحروب ، أثارها الشياطين عليه لكى يبعده عن هذه الحياة الملائكية :

حاربوه بالأفكار والشكوك ، شككوه في هذا الطريق ، وفي مصير أخته ،

(١) ١ كو ١٤ : ١٩

وفي امكانية استخدام المال للخير بدلا من توزيعه على الفقراء • وحاربوه  
بالحواس ، والمناظر المخيفة ، وحاربوه في عفته بمناظر العيب والنساء •  
وظهروا له بهيئة فهود ونمور وأسود وحيوانات متوحشة ليرعبوه •  
فانتصر عليهم ولم يخف • وقال لهم « لماذا هذا التجمهر ؟ لو كنتم أقوىاء ، لكان  
واحد منكم فقط يكفى لمحاربتى ، بينما أنا أضعف من مقاتلة أصفركم » •••  
نقطة ذكاء ••

### ••• وحاربوه أيضاً بالضرب والايذاء •••

وبالآخص حينما كان يسكن في مقبرة ، في بدم رهينته •  
وربما يكون قليل من القديسين قد ضربوا من الشياطين ضرباً عنيفاً ،  
كما حدث للأنبا أنطونيوس •

لقد ضربوه بعنف شيطاني لا رحمة فيه ، حتى تركوه في المقبرة ما بين  
حى وميت • وهو نفسه قال عن هذا الحادث « ان الضربات التي كانت تقع على ،  
كانت من القوة والعنف ، بحيث أننى لا أظن أن قوة بشرية تستطيع أن تضرب  
بمثل ذلك الايلام وبمثل تلك القسوة » •••

ولما جاء العلماني الذي يخدمه ووجده هكذا ، حمله الى كنيسة القرية  
وهو في غيبوبة ، فبكى عليه الناس • وعند منتصف الليل تقريباً ، وكان الناس  
قد انصرفوا ، فتح الأنبا أنطونيوس عينيه ، وسأل الأخ العلماني « أين أنا ؟ »  
فلما أخبره أنه في كنيسة القرية ، قال له « احملنى الى المقبرة » • ولما أدخله  
فيها ، قال له « اغلق على وأمضى » • ثم اعتدل الأنبا أنطونيوس وقال  
للشياطين •

« ان كان الله قد أعطاكم سلطاناً على ، فمن أنا حتى أقاوم الله ؟! وان  
كان الله لم يعطكم سلطاناً ، فلن يستطيع أحد منكم أن يؤذيني ! » • وبدأ  
يرتل مزاميره :

« الرب نورى وخلصى ممن أخاف ؟! الرب عاضد حياتى ممن ارتعب ؟  
عند اقتراب الأشرار منى ليأكلوا لحمى ، مضايقى وأعدائى جزعوا وسقطوا •  
ان يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى • وان قام على قتال ، ففى هذا أنا  
مطمئن » •

وكانت الشياطين تنحل أمامه كالدخان وتمضى صارخة •••

ولما انتصر هكذا على الشياطين ، بدأت الشياطين تخافه عامة انه أقوى  
منها • وتعلم هو من هذا دروساً •••

تعلم أن لا يخاف من الشياطين ، وتعلم قوة الصلاة والمزامير وعجز  
الشياطين أمامها • وتعلم الشجاعة أيضاً ، والصلابة في الجهاد • وأخذ خبرة في  
العمل الروحى وفي حروبه •

ومن ذلك الحين، بدأت الشياطين تخافه ، لأنه هزمها في أكثر من ميدان .  
والقى فيما بعد عظته عن ضعف الشياطين .

**وأخذ قوة من ذلك كله ، على اخراج الشياطين وطردهم :**  
وعاش هذا الجبار وحده في الجبل ، يملأ البرية صلاة وتأملات وتسبيحاً  
وترتيلاً وقدسية وطهراً ، ويرتعب منه الشياطين ، وتحيطه الملائكة .

**وعرف كيف يتعامل مع الشياطين ، بالتواضع ، وبالخزم :**  
عرف متى يقول لهم في اتضاع : أيها الأقوياء ، ماذا تريدون منى أنا  
الضعيف ؟ أنا أضعف من أن أقاتل أصغركم . ألا تعلمون انى مجرد تراب  
ورماد ؟

وتواضعه هذا كان يحرقهم ويطردهم بعيداً . . . .  
وعرف أيضاً متى يكون حازماً وشديداً معهم . ويقول لهم في ثقة .  
« لو كنتم أقوياء ، لكان واحد منكم يكفى لمحاربتى » . « ان كان الله لم  
يعطكم سلطاناً على ، فلن يستطيع أحد منكم أن يؤذنى » .  
**واستطاع أيضاً أن يميز أفكارهم وخداعهم وأحلامهم :**

في احدى المرات أتاه الشيطان مرة ليوقطه ليصلى !! فلم يسمع منه . وقال  
له : متى أردت أن أقوم للصلاة ، سأقوم وأصلى . ولكن منك أنت لا أسمع .  
وفي احدى المرات تعجب البعض من سر كشفه لهم ، فسألوه عن ذلك ،  
فقال « أتى الشياطين في حلم وأخبرونى » . . . .

**لقد اكتسب افرأزاً وعلماً من حروب الشياطين :**  
ان الأنبا أنطونيوس في تعليمه لغيره ، انما كان يعلم من حصيلة خبرة  
طويلة ، لم يكن يعلم من معرفة الكتب ، لم يحدث أنه قرأ كتاباً وفهمه ، وأخذ  
أفكاره وشرحها للناس .

**انما كان يعيا الحياة ، ويجرب ويختبر ، ثم يعلم :**  
لقد عرف الشياطين وحروبهم ، وعرف الأفكار وحروبها ، وعرف الجسد  
وحروبه ، وجرب الرؤى والأحلام . . . . ومن ناحية أخرى ذاق حلاوة العشرة  
مع الله ، في الوحدة والصلاة ، والتعزيات الالهية ، والكشف الالهى ، والتأمل .  
ومن واقع هذه الخبرة الطويلة مدى عشرات السنوات ، كان يتكلم كلاماً عملياً  
عن خبرة وتجربة ، وليس كلاماً من الكتب . لذلك كان لكلامه تأثير . . . .

**ان خبرة ٩٠ سنة في الروحيات ليست أمراً هيناً انها رحلة طويلة مشاها  
مع الله في الجبل المقدس . . . . مشوار طويل مشاه في البرية ، في الصحراء ، يده  
في يد الله ، وحياته في قلب لله . . . . يختبر ويذوق ما أطيب الرب .**

● والقديس الأنبا أنطونيوس ، كانت له عينان مفتوحان ، تكشفان  
الأسرار وتستطيعان أن تمزقا الحجب ، وتريان ما لا يرى .

في مرة من المرات كان واقفاً مع تلاميذه ، ثم رأوه قد سها قليلاً ونظر الى فوق فترة ، ثم تنهد . فسألوه . . . فقال : « لقد انتقل اليوم عمود كبير من أعمدة الرهينة . . . لقد رأيت روح الأنبا آمون وهي صاعدة الى السماء تزفها الملائكة » . . .

صدقوني يا اخوتي ، لقد وقفت مذهولاً فترة أمام هذه العبارة . . . !  
ما الذي رآه الأنبا أنطونيوس ؟ وكيف رأى ؟

ان أرواح البشر لا تراها العين المحسوسة المادية ، وكذلك أرواح الملائكة ! فهل رأى الأنبا أنطونيوس هذه الرؤيا بالروح أم بالجسد ! ان كان بالروح فكيف وهو في الجسد !؟ وان كان في الجسد فكيف ؟ هل ظهرت الملائكة في هيئة منظورة ، كما يظهرهون أحياناً للبشر ، وهل كذلك ظهرت روح الأنبا آمون ؟ أم كان الأنبا أنطونيوس في ذلك الوقت « في الروح » كما كان يوحنا الحبيب ا « في الجسد أم خارج الجسد ؟ لست أعلم . الله يعلم » ٢ .

كان الأنبا أنطونيوس رجلاً مفتوح العينين، يكشف له الله أموراً وأسراراً .  
وقد تعلم كثيراً من الكشف الالهي ، وتعلم من الرؤى ومن الملائكة . . .  
كما سبق له وتعلم من الموت ومن الحياة ، من الأبرار ومن الخاطئة ، ومن التأمل في كلام الله . . .

ولما امتلأ علماً فاض من علمه على الآخرين . . .  
وكان الفلاسفة يأتون اليه ، ليتعلموا من هذا الأسمى، الأسمى في نظر فلسفة اليونان والرومان ! . . .

### هذا هو الأنبا أنطونيوس العجيب . . .

الكنيسة مملوءة من العلماء والفلاسفة والمفكرين ، ومملوءة من الأساقفة والمطارنة والبطاركة وكل رتب الكهنوت .

ولكن ليس فيها كثيرون من أمثال الرجل العظيم الأنبا أنطونيوس !  
من هذه الطاقة الروحية الجبارة ، التي أحتقرت الدنيا وما فيها . . .  
وزهدت كل شيء : المال والشهرة والأسرة ، ومتع الأرض كلها ، والجسد . . .  
فأصبح الله له هو الكل في الكل .

نادراً ما نجد انساناً ناسكاً زاهداً عابداً ، مثل الأنبا أنطونيوس ! فكم بالأكثر انساناً قائداً معلماً مثالا في هذا الطريق كالأنبا أنطونيوس ! نبغ في الروحيات ، اختبرها ، وعلمها لغيره ، بالتعليم والقُدوة الصالحة . . .  
تطلب بركة هذا القديس العظيم ، وبركة هذه الكنيسة المقدسة . . .  
وللهنا المجد الدائم الى الأبد آمين ☩

(٢) ٢ كو ١٢ : ٢

(١) رؤ ١ : ١٠

## الفصل الخامس

### القديس أنطونيوس : أعطى أم أخذ ؟

لاشك أن القديس أنطونيوس قد أعطى الرب كل شيء :

انه حسب الوصيعة « مضى وباع كل ماله وأعطاه للفقراء » .. أعطى الرب ثلثمائة فدان من أجود أطيان بنى سويف . وأعطى الرب أيضاً ما كان ينتظره من مركز وجاه كوريث لوالده . وأيضاً زهد فكرة الزواج وما كان يمكن أن ينجمه من اولاد . وكذلك زهد كل ما في الدنيا من علم ومعرفة ومتع وصلة بالناس ...

ومع كل ذلك يلح علينا السؤال : هل هذا القديس قد أعطى أم أخذ ؟  
أم أعطى فأخذ ؟ ...

وننتقل من هذا السؤال الى سؤال آخر يتبعه :

هل الرهبنة عطاء أم أخذ ؟ أم هي عطاء يتحول الى أخذ ؟ أو عطاء يكافأ بأخذ ؟ الأخذ فيها أكثر من العطاء ؟

● هذا القديس أعطى الله قطعة أرض ( ٣٠٠ فدان )

ولكن الله أعطاه الأرض كلها ، والسماء أيضاً ... فأصبح له في كل بلد من البلاد أديرة ، وكنائس ، وأماكن مقدسة . وأصبحت له كل البرية أيضاً ، وكل الأديرة التي على أسماء قديسين آخرين ، لأنه أبو الرهبنة في العالم كله . فهل أعطى أم أخذ ؟

اننى حينما أرى الأراضي والأماكن الموقوفة على دير الأنبا أنطونيوس في مصر وحدها . أرى أنها أكثر مما تركه القديس الأنبا أنطونيوس في قمن العروس ! .. بالإضافة الى أرض الأحياء ..

انظروا ان كلمة ربنا يسوع المسيح لم تسقط أبداً ، حينما قال :

من ترك أباً أو أمًا .. أو أخوة أو أخوات ، أو زوجة ، أو مقتنيات من أجل ، يأخذ مائة ضعف في هذا العالم ، وملكوت السموات ( مر ١٠ : ٢٩ )



لعل البعض حينما أعطى القديس أنطونيوس أرضه للرب ، قالوا عنه :  
مسكين ، ضيع نفسه وأرضه وثروته ومستقبله ١٠٠٠ ! بينما يرد الرب عليهم قائلاً  
« من أضاع نفسه من أجل يبعدها » ( مت ١٦ : ٢٥ ) .

ويقول الكتاب للأبنا أنطونيوس «مناك ربح عشرة أسماء» (لو ١٩ : ١٦) .

### ● ماذا ترك القديس أيضاً غير الأرض ؟ هل ترك أولاداً !؟

لنفرض أن الشاب أنطونيوس ، بدلا من الرهبنة تزوج وانجب ، كم من  
أبناء كان سينجب ؟ خمسة ؟ عشرة ؟ عشرين؟ ٠٠٠ هوذا له الآن آلاف من أبنائه  
الرهبان في كل جيل ، يصل عددهم الى ملايين منذ بدأ الحياة الرهبانية في أواخر  
القرن الثالث حتى الآن ٠٠٠ يضاف الى ذلك ملايين من أبنائه الروحيين مثلكم ،  
من غير الرهبان ٠٠٠

حقاً ان المسيح حينما قال ان يعوض « مائة ضعفاً » كان منكراً لذاته في  
كرمه ، لأنه أعطى بالآلاف الأضعاف ٠٠٠

بل قد جعل الله هذا القديس يتخطى حدود المكان والزمان :

هذا الذى ترك بلده ، وتوحد في الجبل لأجل الله ، تاركاً العالم لأجله ،  
أصبح العالم كله يتحدث عنه . اسمه وصل الى أقطار المسكونة كلها . لا توجد  
قارة من قارات العالم الست ، لا تعرف الأبنا أنطونيوس ! اسمه تخطى حدود  
قريته ، بل حدود مصر ، بل حدود أفريقيا ، حتى في أيامه ٠٠ وأصبح له أولاد  
وأديرة وكنائس في كل موضع . وأصبحت له أماكن مقدسة لا تعد . حقاً ، هل  
أعطى أم أخذ !؟

● وماذا أعطى القديس الأبنا أنطونيوس أيضاً للرب؟ هل أعطاه عمراً ؟  
هوذا الله جعل حياة الأبنا أنطونيوس تتخطى الزمان !؟

كثيرون تنتهى حياتهم في الأرض بوفاتهم ، وينساهم جيلهم بعد حين ،  
وتنساهم الأجيال . وهوذا قد مر أكثر من ١٦ قرناً على نياحة الأبنا أنطونيوس ،  
وما زال حياً بيننا حتى الآن ، حياً في مبادئه ، وفي تعاليمه ، وفي أولاده ، وفي  
النهج الذى اختطه ، وفي ذكراه ٠٠٠

انه من الأسماء الخالدة التى لا تنسى . انه روح كبيرة ، أكبر من الموت .  
لم يستطع الموت أن ينهى رسالتها . فلم تقتصر حياته على جيله ، بل تخطته  
عبر الأجيال ، ولا تزال بيننا . انه صاحب حياة بدأت ولم تنته ٠٠٠

عند رهبنة كل راهب ، يصلون عليه صلاة الأموات ( أعنى المنتقلين ) ،  
على اعتبار أنه مات عن العالم . ولكن قديسنا هذا بموته عن العالم ، دخل في  
الحياة التى لا تنتهى ، وما زال بها حياً بيننا .

أتراه أعطى الله حياة كرسها له ، أم أخذ حياة لا تنتهى ؟!

### ● هل لأجل الله أيضا ترك جاهاً وسلطاناً وعظمة وشهرة ؟

اذ كان أبوه بالجسد ذا جاه وعظمة يورثها لابنه ٠٠٠ هناك وأتخيل لو بقى أنطونيوس في مكان أبيه ، أى مستقبل كان ينتظره ؟ أتراه كان سيصير عمدة بلدة قمن العروس ؟ أو أعظم رجل في المركز أو في محافظة بنى سويف ، مدى حياته ، ثم ينسأه الناس ، كما نسوا اسم أبيه على الرغم مما كان له من عظمة وجاه وغنى ٠٠٠!

هوذا الأنبا أنطونيوس في جيله ، يرسل اليه الامبراطور قسطنطين يطلب بركته ، ويأتيه الفلاسفة والنبلاء من كل مكان يطلبون حكمته . وينال شهرة لم ينالها أحد . وتسمية الكنيسة « العظيم الأنبا أنطونيوس » .  
أتراه حقاً في هذه النقطة ، أعطى أم أخذ ؟!

### ● ماذا ترك أيضاً لأجل الله ؟ أتراه ترك الكهنوت ؟

فلم نسمع أنه نال من درجات الكهنوت أو رئاسة الكهنوت ٠٠٠

ولكن هوذا أولاده صاروا بطاركة وأساقفة . بل ان البابا البطريرك في أيامه ( القديس اثناسيوس الرسولى ) كان أحد أولاده الروحيين . وجميع بطاركة العالم يسجدون في مواضعه المقدسة ويطلبون بركاته ٠٠٠

وكل رتب الكهنوت ، مهما علت ، تطلب في القداس الالهى صلوات الأنبا أنطونيوس ، وتتشفع به الكل يعتبرون أنفسهم أولاده ٠٠٠  
صدقونى ، لو اكتشفت قطعة قماش صغيرة ، ثبت أنها من ثوب للأنبا أنطونيوس لتنافس عليها كل بطاركة العالم وكهنته ورهبانه .

ترك الأنبا أنطونيوس الكهنوت ورئاسته . فصار كل رجال الكهنوت من أولاده . أتراه في ذلك أعطى أم أخذ ؟!

حقاً ان الله يعطى أكثر مما يأخذ ، بما لا يقاس :

يأخذ حبة قمح ، ليعطيك سنابل مملوءة قمحاً .

يأخذ نواة بلح ، ليعطيك نخلة ، تحمل آلافاً من ثمار البلح .

وللأسف ، البعض يحجمون عن العطاء . تطلب الكنيسة من أم أن تعطى

ابنها للرهبنة أو الكهنوت ، فتبكي وتمرض كأن كارثة ستحدث !

تمجنبنى جداً في الأمهات ، القديسة حنة أم صموئيل النبى . لم تنجب أبناء . ولما وهبها الرب صموئيل ، أعطته للرب وكان وحيدها ! فأعطاهما الرب أولاداً آخرين كثيرين ، لعلكم لا تذكرون أسماءهم ( ١ صم ١ : ٢٢ ) . أما

الابن الذى اعطته للرب ، فهو الوحيد الذى خلد اسمه ، وعرفت هى به انها  
» أم صموئيل « .

أعط اذن للرب ، وسيرد لك أضعافاً ، دون أن تطلب أو تنتظر .  
الأبنا أنطونيوس أعطى حياته للرب ، وليس فقط أملاكه . فماذا حدث ؟  
أعطاه الرب بدلاً من هذه الحياة الأرضية ، حياة روحية خصبة . حياة  
أبدية مثمرة في ملكوته ، وأعطاه أيضاً حياة أبناؤه . . . .

بل ان الأبنا أنطونيوس ذاته ، تحول الى رمز . . . .  
أصبح ليس مجرد شخص ، وإنما صار رمزاً ، رمزاً للحياة الوحدة والصلاة  
والتأمل والزهد والنسك ، رمزاً لحياة الرهبنة بكل ما فيها من فضائل  
وروحانيات . وكما قيل في إحدى القصائد .

أنت رمز لحياة ظهرت اشتهى الخالق يوماً أن تكون

أصبح رمزاً لحياة الهدوء والسكون ، رمزاً للحياة التى تتخلى من الكل لكى  
ترتبط بالواحد ، الحياة السامية المقدسة التى لا تنشغل بتفاهات العالم وكل  
متعته ، لأنها تفرغت لله وحده . . . .

ولم يعد القديس الأبنا أنطونيوس بالنسبة إلينا مجرد انسان ، وإنما  
أصبح مجموعة من المعانى والمثل والروحيات . كلما نذكره ، نذكرها ، ممثلة  
فيه . انه صورة حية ، ونموذج ، ومثال . انه رسالة مقروءة من جميع الناس .  
انه ملاك أرضى . أعطى فأخذ . . . .

● أعطى راحته وهدوءه ، وتعرض لغروب الشياطين وايدائهم . . . .  
بالتخويف ، بالضرب ، بالتشكيك ، في صورة وحوش ، في صورة نساء ،  
بأصوات مرعبة ، في وحدة بلا أنيس ! . . . .

ولكن الله أعطاه الاحتمال ، والقوة ، والانتصار ، وعدم الخوف ، وأعطاه  
سلاماً داخلياً عجبياً ، وأعطاه مهابة روحية ، بحيث صارت الشياطين هى التى  
تخافه وترتعب من قوته الروحية ، صارت له موهبة اخراج الشياطين . أترأه في  
كل ذلك أعطى أم أخذ !؟

● كذلك في تركه العمران وسكناه القفر ، هل أعطى أم أخذ ؟

يبدو ظاهرياً أنه ترك بهجة العمران ، ودخل في وحشة القفر ، من أجل  
الرب . ولكن الرب جعل القفر عامراً بهذا الملك الأرضى . وحول البرية الى  
سما ، كواكبها هم هؤلاء الملائكة الأرضيون . وصار هذا القفر مكاناً مقدساً ،  
يأتية الناس من أقاصى الأرض ليتبركوا حتى بترابه ، وصار جبل أنطونيوس  
جبل مقدساً ، وبرية أنطونيوس صارت برية مقدسة . وكل شبر داسته قداماه ،  
باركه الرب ببركة خاصة . وفجر له في القفر عين ماء . هل حقاً أعطى أم  
أخذ !؟ ان الناس يشتهون بركة بريته أكثر من كل مباحج العمران . . . .

ان الله يعطينا طبعاً أكثر مما يأخذ منا • ولكن •••  
ولكن المهم أن نبدأ نحن بالاعطاء • ولا نفكر حينما نعطي أننا نعطي •  
وأيضاً لا نفكر أننا سناخذ عوضاً •••

ان من يجعل علاقته بالله ، علاقة طلب مستمر وأخذ ، هو انسان متمركز حول ذاته • أما الانسان الروحي ، فانه يعبر عن حبه لله ، بالبذل المستمر ، ويقول للرب « من يدك أعطيناك » ( ١ أى ٢٩ : ١٤ ) • بل في تقديمه شيئاً لله ، يشعر بتفاهة ما يقدمه ، اذا ما قورن بما أخذه منه •

**هوذا مثل من خارج الرهينة ، هو موسى النبي :**

لا شك أنه ترك قصر فرعون ، و « أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون » وترك « كل خزائن مصر » ، وصار راعى غنم في البرية ••• تراه خسر أم كسب ؟!

لقد ترك الأمانة • فاذا بالرب يقول له « جعلتك الهياً لفرعون » ( خر ٧ : ١ ) • واذا بفرعون يتوسل أكثر من مرة الى موسى ، طالباً منه أن يصلى عنه ، ليرفع الله عنه الضربات • وكان واضحاً أن موسى في موقف أقوى من فرعون ••• ثم صار موسى قائداً لشعب بأسره • وأصبح رجل معجزات ، يشق البحر ، ويفجر من الصخرة ماء • لا شك أن موسى قد أخذ أكثر مما أعطى ، بما لا يقاس •

**ان علاقتنا بالله هي علاقة أخذ مستمر ، لا اعطاء :**

هل تقول انك تعطى الله وقتاً للصلاة ؟ كلا ، انك لا تعطى وقت الصلاة ، بل تأخذ بركة ونعمة ، وتنال عملاً من الروح القدس داخلك ، وبركات لا تحصى • الله أعطاك أسبوع عمر ، وانت تقدم له يوماً من هذا الأسبوع الذى وهبك اياه ، فهل أنت تعطى ؟! كلا ، بل أنت تأخذ بركة هذا اليوم • وكما يقول الكتاب ان « السبت قد أعطى للانسان » ( مر ٢ : ٢٧ ) •  
القديس أنطونيوس ، حينما أعطى حياته لله ، لم يكن يفكر اطلاقاً انه سيأخذ كل ما أخذه ، وما جال ذلك بفكره •

**وفي نفس عملية الاعطاء بالنسبة اليه ، كانت عملية أخذ :**

أخذ فيها بركة الجلوس مع الله ، وبركة حياة السكون والتأمل • وأخذ فيها بركة هذا الطقس الملائكى • وأخذ النعمة الكبرى التى عملت فيه حتى استطاع أن يصمد في الوحدة •  
انه لم يقل اطلاقاً « سأعطي الله صلواتى » ، بل كان شعوره : أريد أن اتمتع بالله والوجود معه ، وأن يعطينى الله هذا الشرف وهذه المتعة ، متعة الوجود في حضرته •

شعور الانسان بأنه يعطى الرب ، شعور خاطيء روحياً :

فنحن باستمرار نقترّب الى الله ، لكي نأخذ . . .

ثم ، من نحن حتى نعطي الرب ؟! ومن هو الرب الذي نعطيه ؟

الله مالك السموات والأرض ، وخالق السموات والأرض ، وصاحب كنوز

النعم التي لا تحد ولا تفرغ . . . هل من المعقول أننا نعطيه ؟!

الأرملة التي أعطت رجل الله ايليا حفنة دقيق وقليل زيت ، هل أعطت أم

أخذت ؟ انظروا ، هوذا « كور الدقيق لا يفرغ ، وكوز الزيت لا ينقص » طول

مدة المجاعة ( ١ مل ١٧ : ١٤ ) .

وهكذا الأنبا أنطونيوس ، علمنا أن الحياة الروحية هي أخذ دائم من الله ،

أخذ بركة ، ومتعة ، في كل عمل روحي .

ولو لم يكن القديس أنطونيوس يأخذ متعة روحية ، في كل أيام حياته في

البرية ، أترأه كان يستطيع الحياة في القفر ؟!

ولو لم يكن يأخذ نعمة وقوة ، أترأه كان يستطيع مقاومة كل حروب

الشياطين ، في كل عنفهم وكل حيلهم . . . ؟!

انه كان يعيش الى جوار صاحب النعم كلها ، يغترف منه بالليل والنهار ،

نعمة ، وقوة ، وبركة ، ومتعة روحية . . .

كان ممكناً للشباب أنطونيوس ، بالفنى الكثير الذى ورثه ، أن يتعلم ،

ويأخذ من العالم معرفة وعلماً وشهادات دراسية .

ولكنه من الله أخذ معرفة عميقة ، ما كان ممكناً للعالم أن يعطيها . . .

معرفة كانت تذهل كل فلاسفة وعلماء عصره . . .

وكان الناس يأتون من أقاصى الأرض ، لكي يسمعوا من فمه كلمة منقعة ،

أو كلمة حياة ، يخلصون بها . . .

انها كلمات أخذها من الله ، لها عمقها ، ولها قوتها وفعاليتها وتأثيرها ،

وليست معرفتها من النوع الذى يعطيه العالم .

لقد فضل أن يعيش في جهالة مع الله ، تاركاً علم العالم ، « فأعطاه الله

فماً وحكمة » ( لو ٢١ : ١٥ ) ، وأعطاه علماً يفوق الكل فاندل علماء الأرض

من هذا ( الأمى ) . فهل الأنبا أنطونيوس أعطى أم أخذ ، وهوذا العالم كله

يستفيد من تعاليمه . . .

ولأنه رفض من أجل الله معرفة العالم ، أعطاه الله علماً روحانياً ، علماً

الهيأ . . . أعطاه علم معرفته . . .

ليس في الأمور النسكية فقط ، وانما حتى في اللاهوتيات أيضاً . وقد

أفعم الأريوسيين لما نزل الى الاسكندرية ، وكان لكلماته تأثير عميق • ويعتبره العلماء أستاذاً لأثناسيوس •••

ان الله حينما يضع كلمة في فم انسان ، يزود هذه الكلمة بقوة وتأثير وفاعلية ، لا يستطيع أحد أن يقاومها •••

كان الأنبا أنطونيوس جهازاً جيد التوصيل لكلمة الله ، ولنعمة الله ، ولبركة الله ، وللسلام الممنوح من الله •••

كان انساناً يأخذ من الله ، ويعطى للناس ، نفس القوة ••

لقد فرحت السموات ، لما وجدت على الأرض هذه الآنية المختارة ، التي تستطيع أن تحمل نعمة الله للناس ، وفي نفس الوقت تحتفظ ببساطتها وهدونها ، دون أن ترتفع ، ودون أن تنتفخ ••

ولم تكن كلمات هذا القديس فقط هي التي تفيض نعمة ، وانما كانت حياته أيضاً كذلك ، وكانت هكذا ملامحه •

كان كل انسان يرى الأنبا أنطونيوس ، يحب أن لا يفارقه • كان وجهه يفيض بركة ، وحديثه يفيض نعمة ، وحياته تفيض روحاً •• لذلك لا نعجب لتلميذه الذي قال له « يكفيني مجرد النظر الى وجهك يا أبى ••• » •

بالنسبة الى الله ، كان القديس أنطونيوس يأخذ باستمرار •••

وبالنسبة الى الناس ، كان هذا القديس يعطى باستمرار ، كسيده •••

ولقد أعطاه الله الكثير ، لما زهد كل شيء ، لأجله •••

أعطاه موهبة المعجزات والآيات والمعائب ، فكان يشفى المرضى ، وكان يخرج الشياطين ••• وكان الناس يقصدونه لا من أجل المعرفة الروحية فقط ، والبركة ، وانما أيضاً لأجل معجزاته •

هل هذا يقارن بما تركه من مال أو جاه أو أهل !؟

انه لما أغمض عينيه عن المال ، فتحهما الله للرؤى السماوية :

فكم من مرة رأى ملائكة ، وكم من مرة تحدث معهم !؟

لقد ظهر له ملاك يشرح له كيف يصلى ويعمل ويقاوم الملل • والملاك هو الذى سلمه قلنسوة الرهينة •••

وفي احدى المرات رآه تلاميذه ناظراً الى السماء وساهماً ، فعرفوا انه رأى شيئاً ، فسألوه • فأخبرهم عن نياحة القديس الأنبا آمون أب جبل نتريا ، اذ رأى روحه يزفها الملائكة بالتهليل الى السماء •

طوباك أيها القديس الأنبا أنطونيوس، ان عينيك اللتين رفضتا أن تنظرا

الى المال ، وهو ملقى على الرمال ، صارتا تنظران الملائكة وأرواح القديسين ،  
أيها البار المفتوح العينين ... وماذا أيضاً ؟

قال القديس الأنبا أنطونيوس : أبصرت مرة فخاخ الشيطان مبسوطة على  
الأرض ، فألقيت نفسى أمام الله وقلت « يا رب ، من يفلت منها ؟ » • فأتانى  
الصوت من السماء « المتواضعون يفلتون منها » ...  
طوبى لهاتين الأذنين اللتين أغلقتهما أمام أغاني العالم وطربه وأحاديثه ،  
فاستحقتا أن تسمعا صوت الله في هذه المناسبة وغيرها ، وأن تسمعا تهليل الملائكة  
وهم يحملون روح الأنبا آمون ...

حقاً ، كلما نترك شيئاً لأجل الله ، نأخذ أضعافاً ، وبنوعية أفضل ،  
« ليس بكيل يعطى الروح » ( يو ٣ : ٢٤ ) انه يعطى بلا حدود ••  
ان الذى ترفض من أجله خزائن العالم ، يفتح أمامك خزائن السماء  
والمواهب الروحية ، كما حدث للقديس الأنبا أنطونيوس ، الذى ترينا حياته ،  
مقدار عمل الله في النفس البشرية ...

لقد ترك الزواج والنسل الجسدى ، انظروا عدد وحلاوة أولاده :  
من أولاده القديس مقاريوس أبو الاسقيط ، والقديس الأنبا آمون أب  
جبل نتريا ، والقديس بنوده رئيس أديرة الفيوم ، والقديس ايلاريون مؤسس  
الرهينة في سوريا وفلسطين • ومن أولاده الأنبا بولس البسيط ، والأنبا  
بيساريون ، والأنبا سرابيون ، والأنبا شيشوى ... وكثيرون ...  
حقاً « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد » وسمى خيامك • لأن أولادك  
يصيرون أكثر من ذات البعل ... ( أش ٥٤ : ١ ) •

اننى لا أستطيع أن أدخل في جزئيات ، وأقول ان الأنبا أنطونيوس ترك  
من أجل الله مالا ، أو أرضاً ، أو وقتاً ، أو زواجا أو أولاداً ...

انما هو أعطى الله الحياة كلها ، كذبيحة طاهرة قدامه • فآخذ الله هذه  
الحياة ، وقدسها وباركها وزودها بالمواهب ، وأعطاهما للعالم •  
عندما يقول الله « يا أبنى ، أعطنى قلبك » ( أم ٢٣ : ٢٦ ) ، هل تظنون  
أنه يريد أن يأخذ هذا القلب؟ كلا ، بل هو يريد أن يملأ هذا القلب حباً وبركة  
وبراً • يريد أن يأخذ هذا القلب فيطهره من كل خطية ، ويجعل روحه القدوس  
يسكن فيه ... كمن يقول لك : « أعطنى جيبك الفارغ لأملأه خيرات » •  
أهو يأخذ أم يعطى ؟

عندما تعطى الله قلبك ، انما تعطى فراغك ، والله يملأ ...  
تعطى ضعفك ، وتأخذ قوة الله • كمن يعطى المشور ، تفتح له كوى  
السماء ، ويفيض الله عليه حتى يقول كفانا كفانا ( ملا ٣ : ١٠ ) •  
تقدم لله ، أعطه ارادتك ، ليعطيها قوة ، ويرجعها اليك منتصرة ...  
أتكون اذن تعطى أم تأخذ !؟

## القديس أنطونيوس ومحبة الوحدة والسكون

اننا لا نستطيع ان نتأمل حياة الأنبا أنطونيوس في يوم عيده ، دون أن نتذكر حياة الوحدة والسكون التي عاشها ، وثمار هذه الوحدة في حياته وفي تعاليمه . . . .

لقد ذكر عنه القديس اثناسيوس الرسولى انه قضى ثلاثين سنة ، وقد أغلق على نفسه في وحدة كاملة ، لا يرى فيها وجه انسان . في هذه الوحدة اختبر ثمار السكون ، في خلوة كاملة مع الله . وامكنه أن يفرغ ذهنه من تذكارات العالم وأخباره وتفاهاته ، لكي يملأ هذا الذهن بالله وحده ، فلا يفكر الا فيه .

وفي مذاقته لحلاوة السكون نصح أولاده فيما بعد، خوفاً عليهم من أن يتبدد سكونهم خارج البرية ، فقال :

« الراهب في الدير كالسمكة في البحر ، لا تحيا خارج مياهه » . . . .

وحقاً حينما عاش معه القديس الأنبا بولس البسيط بضع سنوات، يتتلمذ عليه ، ويحيا تحت ظل صلواته ، طلب اليه أن يدخل الى البرية ويحيا وحده « ليجرب حروب الشياطين » .

انه الدرس الأول الذى أخذه الأنبا أنطونيوس « ان كنت راهباً ، فادخل الى البرية الجوانية ، . . . . وكان هذا هو الدرس الذى يقال لكل راهب ، في أن يتعلم الهدوء :

« اجلس في قلايتك ، والقلاية ستعلمك كل شيء » . . . .

ان القديس الأنبا أنطونيوس هو الذى وضع أساس الرهبنة الأصلية والنظام الذى وضعه هو الذى بقى أكثر من غيره . . . . أكثر من حياة الشركة التى كانت تعتمد على رئيس حازم قوى كالقديس باخوميوس مثلاً ، يديرها بدقة وجدية ، ويماقب من يكسر قوانينها . . . . فإذا لم توجد هذه الرئاسة ، انتهى قيام الرهبنة تبعاً لذلك . . . . وهكذا انتهت كثير من أديرة باخوميوس .



أما القديس أنطونيوس فكان يبني الراهب من الداخل ، بمحبة الوحدة  
والسكون ، أكثر مما يبنيه بقوانين صارمة تحفظ طاعته ٠٠٠  
كان يبني قلب الراهب ، لا مجرد ارادته ٠٠٠ وتصرفه ٠٠

كان يميئ العالم داخل قلبه ، ولا يقتصر على اماتة التصرفات العالمية في  
سلوكه ٠ وهذه الاماتة كانت تأتي أولا بالوحدة ، بالبعد عن الكل ، لحفظ  
العقل في السكون ٠ وتأتي ثانياً بانشغال الفكر والقلب بالله في حياة السكون ٠  
ما أجمل قول مار اسحق :

« ان مجرد نظر القفر ، يميئ من القلب الحركات العالمية » ٠

في البرية تربى موسى قبل عمله الرعوى أكثر مما « تهذب بكل حكمة  
المصريين » ٠ والى البرية نقل الله أيانا ابرآم ، حيث تدرّب على حياة الخيمة  
والمذبح ، أى الفربة والشركة مع الله ٠ وفي البرية تدرّب ايليا ، على جبل  
الكرمل ٠ وفي البرية تدرّب أيضاً يوحنا المعمدان ، أعظم من ولدته النساء ٠  
وربنا يسوع المسيح أيضاً أحب البرية والجبال ، وترك لنا في ذلك مثالا ، حتى  
كما كان يختلئ في جبل الزيتون ( يو ٨ : ١ ) ويقضى الليل في الصلاة ، نفعل  
نحن أيضاً ٠٠

وهكذا عاش الأنبا أنطونيوس ، ليس أياماً ، انما الحياة كلها ٠٠  
عاش بعيداً عن المدن ، وما فيها من صخب وضجيج وضوضاء ، وأيضاً  
بعيداً عما فيها من دوامة المشغوليات ، التى لا تعطى فرصة لجلوس الانسان مع  
نفسه أو جلوسه مع الله ٠٠

حقاً ، لقد سألت نفسى مرة : لماذا خلق الله كل هذه الصحراوات ؟

هذه الصحراوات الواسعة ، وهذه الجبال والتلال، في كل قارة من القارات،  
تمثل الهدوء والوحدة ، بعيداً عن صخب المدن ٠٠٠

أليس في كل هذا ايحاء ، يشير الى الناس بحياة الهدوء !؟  
وكان السيد المسيح يأخذ تلاميذه الى موضع قفر ، حتى تتركز حواسهم في  
كلامه ، ولا تنشغل بالمناظر والأفكار ٠٠٠

ان كل انسان في الدنيا ، مهما تعمق في الحياة الروحية ٠٠٠ هو محتاج  
الى فترات هدوء ، يجلس فيها الى الله ، والى نفسه ٠٠

يهدأ بعيداً عن المشغوليات ، وبعيداً عما تجلبه الحواس من أفكار ٠٠٠ وفي  
هدوء يأخذ من الله ، وأيضاً يفحص ذاته، ويأخذ من أعماق أعماقه ، حيث يسكن  
الله أيضاً ٠

هذا هو أول ما يجذبنا ، في الحياة المميقة التي عاشها قديسنا :

**وحياة السكون هذه ، لها دلالتها الروحية الكثيرة :**

فليس كل انسان يستطيع أن يحيى حياة السكون في البرية . وان استطاع ذلك بضمّة أيام أو أسابيع ، فلا يستطيع أن يحيى في البرية العمر كله ، الا ان كانت له دوافع روحية راسخة ، كما كان للقديس أنطونيوس . فما هي هذه الدوافع ؟

**أول صفة تستلزمها حياة البرية ، هي الزهد :**

ان الذى يحب العالم ، تجذبه أمور العالم، فلا يستطيع أن يبقى في البرية اذ يشتاق الى ما تركه في العالم من أمور محببة الى نفسه . وكما قال الكتاب « حيثما يكون كنزك ، فهناك يكون قلبك » ( مت ٦ : ٢١ ) . انما يحيى في البرية ، الانسان الذى مات قلبه عن العالم موتاً حقيقياً . بمقدار ما يكون قلبه مائتاً عن العالم ، هكذا يكون ثباته في البرية أيضاً .

**اذن الموت عن العالم ، يسبق بالضرورة الحياة في البرية :**

والقديس الأنبا أنطونيوس كان قلبه قد مات عن العالم وكل رغباته : ترك الأهل والبلد والمال والجاه والملم وكل شيء . ولم يعد يشته شيئاً عالمياً ، لذلك استطاع أن يسكن في مقبرة ، وأن يسكن في القفر ، وأن يحتمل الجوع والمطش والوحدة ...

**كذلك السكنى في البرية تحتاج الى شجاعة قلب :**

يصلح لها قلب لا يخاف ... لا يخاف الوحدة، ولا الظلام ، ولا الوحوش والديب ، ولا الشياطين ... وهكذا كان الأنبا أنطونيوس، لقد تعرض لحروب مخيفة جداً . وكان الشياطين يظهرن له في هيئة وحوش مفترسة، تصيح بأصوات مرعبة ، وتهجم عليه . ومع ذلك لم يخف، بل وقف صامداً أمامهم ... كذلك هاجموا لما كان في المقبرة، وضربوه ضرباً مبرحاً جداً ، ولم يهتز اطلاقاً . وفيما بعد أصبحت الشياطين هي التي تخاف الأنبا أنطونيوس، وأخذ قوة من الله على طرد الشياطين ...

هذا هو الأنبا أنطونيوس رجل البرية ، وابن الجبال ، صاحب القلب القوى الذى لا يخاف ، الذى عاش في الجبال وحده عشرات السنوات ، لا يؤنسه سوى الله .

**السكنى في البرية أيضاً يلزمها انسان يعرف كيف يقضى وقته حسناً، بحيث لا يمل من فراغ يحيط به ...**

فالوحدة ليست مجرد عمل سلبي ، هو البعد عن العالم ، أو الموت عن العالم ، انما هي عمل ايجابي في الحياة مع الله والاتصاق به ، ومذاقة حلاوته والعشرة معه . وهذا هو الهدف الاساسي من الوحدة ، التي تعتبر مجرد وسيلة للاتصاق بالله . وان كانت الوحدة هي الانحلال من الكل ، فان مار اسحق يقول :

« الانحلال من الكل ، للارتباط بالواحد ... »

والأنبا أنطونيوس عاش حياة الصلاة وحياة التأمل ، منشغلاً بالله كل وقته ، فكراً وقلباً ، فلم يمل ، ولم يعد محتاجاً الى عزاء بشرى يسلييه . وصارت الوحدة بالنسبة اليه متعة روحية ، بسبب العشرة الالهية التي شغلت حياته ...

ولم يعيش وحده في البرية ، انما كان الله معه .

عرف أن « الحاجة الى واحد » ، ونجح في الارتباط بهذا الواحد .

ولما عاش في حياة السكون ، دخل السكون الى قلبه أيضاً .

وكما قال مار اسحق « بسكون الجسد ، نقتنى سكون النفس » .

هدأت حواسه ، وهدأت أفكاره ، وهدأ قلبه من الداخل ، وهدأت ملامحه أيضاً ، وصار مصدرأ للسلام لكل من يتصل به . وفيه أحب الناس هذه الحياة الهادئة الساكنة المملوءة بالسلام .

بمرور الوقت زالت من فكره كل التذكريات القديمة التي عاشها في العالم ، وأخذت نقاوة فكره تنمو شيئاً فشيئاً ، حتى لم يعد في فكره سوى الله وحده . أمحت من ذهنه كل العالميات ، اذ لا استعمال ، ولا جديد يضاف اليها ، بل لا جديد سوى الأمور الالهية التي رسخت في ذهنه ، وملكته كله .

وفيما بعد ، حينما سمح أن يكون له تلاميذ ، وزوار ، لم يكن يكلمهم الا عن الله وحياة الروح . فصارت حياته كلها مركزة في الله ، فكراً ، وشعوراً وكلاماً ... ومات العالم من حوله .

استطاع أن يحول الأرض التي عاش فيها الى سماء ، وأن يحول أبناءه الرهبان الى ملائكة أرضيين أو بشر سمائيين .

أما أنتم يا اخوتي ، فان كنتم لا تستطيعون أن تسكنوا الجبال .. فعلى الأقل لا تحرموا أنفسكم من الخلوة والسكون على قدر طاقتكم .

ولو بضعة أيام كل سنة ، أو يوماً كل أسبوع ، أو ساعة كل يوم ، أو بضعة دقائق كل ساعة ...

انفضوا ضجيج العالم من آذانكم ، وغوصوا داخل أنفسكم ، واكتشفوا في  
آية الطرق أنتم سائرون ، وماذا ينبغى على كل منكم أن يفعل ... واجلسوا مع  
الله ، وخذوا منه معونة ...

ولا تجعلوا الفترة تطول بكم وسط ضجيج العالم . حينما استطعتم أن  
تنسحبوا من هذا الضجيج ، انسحبوا بسرعة ..

وان لم تستطيعوا أن تنسحبوا منه موضعياً ، فعلى الأقل انسحبوا منه  
موضوعياً ... فلا تشتركوا في أعماله وأحاديثه ...

كونوا كغرباء في الموضع الذى لا يناسبكم حديثه . لا تشتركوا في الكلام ،  
ان لم يمكنكم تغيير دفته . وفيما أنتم صامتون ، اسرحوا بأفكاركم في الله  
وملكوته ، دون أن يشعر أحد .

وهكذا تحتفظون بقلوبكم مع الله ، سواء كنتم في خلوة أو مع الناس ،  
كما قال عن ذلك ( الشاعر ) :

كنت في مجتمع أو خلوة أنا وحدى ، يستوى الأمران عندى  
لى طريق مفرد أحببته عشت فيه طول هذا العمر وحدى  
المهم أن محبة السكون تكون في القلب ، وكاحدى نتائجها تتكون الرغبة  
في الاختلاء بالله ، حتى وسط مشغوليات المجتمع .

ونصيحتى أنكم لا تأخذون أمور العالم بعمق ...

لا تجعلوها تدخل الى أعماق مشاعركم والى أعماق تفكيركم .

ولا تجعلوا أمور العالم تستقر في عمق اهتمامكم ، بحيث تستولى على  
ذهنكم ، ويطيش فيها فكركم وقت الصلاة ! ...

وفي محبتكم للوحدة ، لا تنفروا من الناس ومحبتهم ، بل انفروا من  
الأخطاء ... لأن هناك فرقا بين الوحدة والانطواء ...

والقديس الأنبا أنطونيوس كانت حياته حباً للوحدة ، حباً في الله ، ولم  
تكن انطواء ولا كراهية للناس أو عجزاً في معاملتهم فكلما سنحت الفرصة، كان  
يفيض حباً على الناس ، وكانت معاملاته تتميز بالطيبة والوداعة واللطف ...



## الفصل السابع

### القديس أنطونيوس ، ومحبة الله

لما ملكت محبة الله على قلب القديس أنطونيوس ، انتزع الخوف تماماً من قلبه . . . حتى من الله نفسه ، ما عاد يخاف . . .

واستطاع أن يقول لتلاميذه ، تلك العبارة المشهورة عنه :

« يا أولادى ، أنا لا أخاف الله . . . »

فلما تعجبوا قائلين « هذا الكلام صعب يا أبانا » . . . أجابهم « ذلك لأننى أحبه . والمحبة تطرح الخوف الى خارج » ( ١ يو ٤ : ١٨ ) .

حقاً ، ان الحياة الروحية يمكن أن تبدأ بمخافة الله ، كما قال الكتاب « بدء الحكمة مخافة الله » ( أم ٩ : ١٠ ) . وبالمخافة ينفذ الانسان الوصايا . ولكنه اذ يمارس الحياة الروحية ، يجد فيها لذة وممتعة ، فتزول المخافة ويبقى الحب . وكلما نما الانسان في محبته لله ولوصاياه ، حينئذ « المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج » .

والقديس الأنبا أنطونيوس ، عاش في هذه المحبة : بدأ بها ، فدفعته الى الوحدة ثم نما فيها ، حتى وصل الى قممها . . .

لولا محبته لله ، ما استطاع أن يحيا في الوحدة فمحبة الله احدى الصفات الجوهرية التى ينبغى أن يتميز بها من يطلب الوحدة . وكما نقول في صلاة القسمة عن آباءنا السواح والمتوحدين « وسكنوا في الجبال والبرارى وشقوق الأرض ، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح » . هذه المحبة هى التى دفعتهم الى سكنى الجبال ، لكى يتفرغوا لعشرة الرب الذى أحبوه . . .

من أجل هذه المحبة ، ترك القديس كل شيء ، لأن الله عنده هو أتمن وأعلى من كل شيء ، ومن كل أحد . ولأن محبة الله تشجع القلب ، فلا يحتاج الى محبة أخرى تسنده أو تعزیه . . .

محبة الله هى الدافع الى الوحدة ، وهى الدافع الى الصلاة :

أحب القديس الله . ومن محبته له انفرد به ، وأصبح لا يستطيع أن يفارقه ، ولا يستطيع أن ينشغل عنه بشخص آخر . وكما قال الشيخ الروحانى

في ذلك « محبة الله غربتني عن البشر وعن البشريات » • ومن محبته له ، وجد متعة روحية في مخاطبته والتحدث اليه ، كما يقول داود النبي « محبوب هو اسمك يا رب ، فهو طول النهار تلاوتى » ، وكما نقول في التسبحة « اسمك حلو ومبارك ، في أفواه قديسيك » •

ان عمق الرهينة هو في معناها الايجابي : الالتصاق بالله • أما معناها السلبي : البعد عن العالم ، فهو مجرد وسيلة ••

ما أحلى قول داود النبي « أما أنا فخير لى الالتصاق بالرب » ( مز ٧٣ ) • وكيف يلتصق الانسان بالرب ، ان كان بكل مشاعره وفكره منشغلا بالعالم وما فيه ؟! ••

**ومحبة الله ، كما قادت للوحدة والصلاة ، قادت الى الزهد :**

لأن الشخص الذى يذوق الله وحلاوة محبته ، يبدو كل شيء آخر تافها أمامه • وأمام حلاوة الله ، يفقد كل شيء آخر قيمته ، ويصبح باطلا وقبض الريح • وكما قال بولس الرسول « خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية ••• لأربح المسيح » ( في ٣ ) • وهنا نجد الزهد ليس مجرد عمل تغصب ، يغصب فيها الانسان نفسه على ترك مقتنيات العالم وملاذه من أجل الله ، انما هو اقتناع عميق بتفاهة كل شيء • وهذا الاقتناع نتيجة لمحبة القلب لله ••

وهكذا يرى الانسان أن كل متع العالم لا تشبعه ، فيزهدا ، لأن قلبه قد انفتح على محبة أكبر ، وأعمق ، وأسمى ، هى محبة الله ، التى تضاعل أمامها كل شيء آخر •

ومن الناحية المضادة ، ان ملكت محبة العالم على قلب انسان، نزعته منه محبة الله • ولذلك يقول الرسول ان « محبة العالم عداوة لله » •••

ونحن نسأل أنفسنا : كيف استطاع القديس أنطونيوس ، أن يسكن وحده في تلك المغارة البعيدة ؟ وكيف احتمل البعد عن كل عزاء بشرى ؟ وكيف وجد شبعه في الوحدة ؟ ••

الجواب هو أنه كان شعباناً بمحبة الله ، فلم يعوزه شيء •

الوحدة بالنسبة اليه ، لم تكن وحدة مطلقاً ، وانما كانت في حقيقتها عشرة مع الله ، ومع ملائكته •••

عشرة ألد من عشرة البشر ، ومن المجتمعات البشرية •

وعشرته مع الله جعلت المحبة تنمو في قلبه ، فحينما كان يلتقى بالناس ،

كان يلتقى بهم في حب . وكانت معاملته لتلاميذه مشبعة بروح الاتضاع والود ،  
من ثمار الحب الذى فيه .

وهكذا لم تكن وحدته انطواء ، وانما حباً ٠٠٠

ومع محبته للقديس بولس البسيط ، طلب اليه أن يسكن وحده ، لفائدته  
الروحية . لأنه كان يحبه حباً روحياً ، يدفعه الى أن ينمى محبة التلميذ لله ،  
ولو فارقه ٠٠٠ انها محبة لا تلتصقه به شخصياً ، انما تلتصقه بالله ، الذى  
يحب المعلم والتلميذ كليهما معاً ، أنطونيوس العظيم وبولس البسيط ٠٠

★ ★ ★

## مديحة للأنبا أنطونيوس

للبابا شنوده الثالث ( يناير ١٩٦٢ )

( حينما كان اسمه : الراهب أنطونيوس السريانى )

- |  |   |
|--|---|
| ١ - في كنيسة الأيكار<br>قائم بكل وقار      | في مجمع الأطهار<br>بنيوت آفا أنطونيوس   |
| ٢ - قائم بمجد عظيم<br>في طقس السارافيم     | مع لباس الأسكيم<br>بنيوت آفا أنطونيوس   |
| ٣ - بصلاة روحانية<br>دشنت البرية           | ب حياة الهيئة<br>بنيوت آفا أنطونيوس     |
| ٤ - بجهاد في الصلوات<br>بدموع في المطانيات | عشرات السنوات<br>بنيوت آفا أنطونيوس     |
| ٥ - بنسك في الأصوام<br>بنفس لا تنام        | على مدى الأيام<br>بنيوت آفا أنطونيوس    |
| ٦ - بزهد في اللذات<br>وتأمل في الروحيات    | بهذيد في الالهيات<br>بنيوت آفا أنطونيوس |
| ٧ - أعطيت روح ايليا<br>ويوحنا بن زكريا     | وحننة النيئة<br>بنيوت آفا أنطونيوس      |
| ٨ - ارتاع الشياطين<br>وصلاتك كل حين        | من قلبك الأمين<br>بنيوت آفا أنطونيوس    |

- ٩ - حاربوك مدة طويلة  
بكم حيلة وحيلة
- ١٠ - بأختك ذكروك  
بهذا ويرجعوك
- ١١ - نشروا الذهب والمال  
يضوى بين الرمال
- ١٢ - أتوك بطرب وغناء  
لتسقط في الاغراء
- ١٣ - وأتوك بشكل أسود  
بصياح كالرعود
- ١٤ - جاءوك بأذاهم  
تواضعك أخزاهم
- ١٥ - صرخت يا أقوياء  
تراب أنا وهباء
- ١٦ - عجبى لتجمهركم  
أنا أضعف من أصفركم
- ١٧ - يا برج على وحصين  
تتواضع للشياطين!؟
- ١٨ - يا قوة ومثال  
يا ساكن الجبال
- ١٩ - يا مثال للبتولية  
وهمدوء البرية
- ٢٠ - كرائحة بخور  
حياتك نور من نور
- ٢١ - يا عظيم في جهادك  
اشفع في أولادك
- ٢٢ - لم نحى كحياتك  
فاذكرنا في صلاتك
- ٢٣ - اشفع في مدلتنا  
في مدة غربتنا
- بذلوا كل وسيلة  
بنيوت آفا أنطونيوس  
لكيما يقلتوك  
بنيوت آفا أنطونيوس
- أمامك على الجبال  
بنيوت آفا أنطونيوس  
وصور النساء  
بنيوت آفا أنطونيوس
- ونمور وفهود  
بنيوت آفا أنطونيوس  
لتخاف من رؤياهم  
بنيوت آفا أنطونيوس
- لماذا هذا العناء  
بنيوت آفا أنطونيوس  
على ضعفى وتظايركم  
بنيوت آفا أنطونيوس
- يا مثال للمنسحقين  
بنيوت آفا أنطونيوس  
على مدى الأجيال  
بنيوت آفا أنطونيوس
- والقوة الروحية  
بنيوت آفا أنطونيوس  
كأنغام المزمور  
بنيوت آفا أنطونيوس
- يا حكيم في ارشادك  
بنيوت آفا أنطونيوس  
لم نسلك في صفاتك  
بنيوت آفا أنطونيوس
- وضعف طبيعتنا  
بنيوت آفا أنطونيوس



## فهرست

صفحة

٧	مقدمة
٩	الفصل الأول : محبتنا للقديسين
١٣	الفصل الثاني : القديس أنطونيوس جاهد وانتصر
١٨	الفصل الثالث : القديس أنطونيوس كأب لفكرة وطريق
٢٦	الفصل الرابع : القديس أنطونيوس كمعلم وطالب علم
٣٩	الفصل الخامس : القديس أنطونيوس أعطى أم أخذ
٤٧	الفصل السادس : القديس أنطونيوس ومحبة الوحدة والسكون
٥٢	الفصل السابع : القديس أنطونيوس ومحبة الله
٥٤	مديحة للقديس الأنبا أنطونيوس

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٢٠٦/١٩٨٠ .

# فدما الكتاب

باسم الآب والإبن والروح القدس  
الإله الواحد آمين

إن سير القديسين ليست مجرد تاريخ ،  
ولا مجرد وقائع وأحداث ...  
إنها مشاعر ، ومشاعل ...  
إنها شركة أناس مع الروح القدس في  
كل ما يحيط بهم .  
إنها عمل النعمة في قلوب ،  
استسلمت إرادتها لعمل النعمة ...  
وفي هذا الكتاب ، نحاول هذه  
الصفحات أن تقترب من قدس أقداس ،  
هو قلب الأنبا أنطونيوس ...  
نقترب من حياته ، لنتنفع حياتنا ...  
فليت روحه تشفع ، لننال قوة ،  
نتحدث به عن روحه ...

شوده الثالث